جامعة البصرة
كليـــة التربية للبنـات
قسم التاريخ

الاهتمام الصفوي و العثماني
بالمزارات والأماكن المقدسة في العراق
١٥٠٨ - ١٧٢٥ م

المدرس
حيدر عبد الواحد ناصر الحميداوي
كلية التربية للبنات – قسم التاريخ

الاهتمام الصفوي و العثماني بالمزارات والأماكن المقدسة في العراق

١٥٠٨ - ١٧٢٥ م

==========

المدرس / حيدر عبد الواحد ناصر الحميداوي
جامعة البصرة / كلية التربية للبنات

الملخص :-

يتناول البحث الاهتمام الصفوي والعثماني بالمزارات والمراقد المقدسة في العــراق للمدة من ١٥٠٨ – ١٧٢٥م ، وقد تضمن البحث المحاور التالية :-

١- احتلال الشاه إسماعيل الصفوي لبغداد ١٥٠٨– ١٥٢٤م واهتماماته بالأماكن والمراقد المقدسة في العراق .

٢- الاحتلال العثماني لبغداد في عهد السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٤م واهتماماته بالأماكن والمراقد المقدسة في العراق.

٣- العلاقات الصفوية – العثمانية وأثرها في العراق منذ عام ١٥٥٥م حتى احتلال الشاه عباس لبغداد عام ١٦٢٣م .

٤- اهتمامات الشاه عباس الكبير ١٦٢٣ – ١٦٢٩م .

٥- الاحتلال العثماني للعراق في عهد السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٨م حتى سقوط الدولة الصفوية عام ١٧٢٥م .

وانتهاءً بالخاتمة التي تضمنت ملخصاً لموضوع البحث المعنون أعلاه .

The Safavid and Ottoman's interest in the Shrines and Holy Places in Iraq 1508-1725 A.D.

Asist / Hader Abdul wahed Nassir

Abstract

The research deals with the Safavid and Ottoman's interest in the shrines and holy places in Iraq in the period from 1508 to 1725. The research includes the following themes:

1. The occupation of Baghdad by the Safavid Shah Ismail (1508-1524 A.D.) and his interest in the shrines and holy places in Iraq.
2. The Ottoman's occupation of Baghdad in the reign of Sultan Suleiman the magnificent in 1534 A.D. and his interest in the shrines and holy places in Iraq.
3. The Safavid-Ottoman relationships and their effects in Iraq since 1555 A.D. till the occupation of Baghdad by Shah Abbas in 1623 A.D.
4. The interests of Shah Abbas the Great 1623-1629 A.D.
5. The Ottoman's occupation of Iraq in the reign of Sultan Murad the fourth in 1638 A.D. till the fall of the Safavid State in 1725 A.D.

The research ends with a general summary of the research main theme entitled above.

المقدمـــة :-

تأتي أهمية البحث من خلال السعي لتسليط الضوء على الأهمية الكبيرة للأضرحة والأماكن المقدسة في العراق لعموم المسلمين في فترة مهمة من تاريخ العراق الحديث التي وقع فيها في خصم صراع طويل بين قوتين كبيرتين في المنطقة هما الدولتان الصفوية والعثمانية .

ولما كان لهذه الاضرحة والأماكن المقدسة المتواجدة فيها من قدسية واضحة لدى شريحة كبيرة من عموم المسلمين وعلى السواء فإن اهتمام السلطتين الصفوية أَو العثمانية خلال سيطرتهما على العراق تأتي لأسباب عدة فإن لم يكن هناك إيمان مطلق بعصمة وقدسية بعض هذه المقامات فإن جذب ود وخطب مشاعر المسلمين التي توليها إيماناً واهتماماً سواء أكان ذلك من خلال العقيدة الراسخة المؤمنة بعصمتها ومكانتها الالهية وقدسية المناطق التي احتوت بين ثناياها هذه الاجساد الطاهرة وخاصة المناطق التي احتوت رفاة أئمة أَهلُ البيت (عليهم السلام) أَو باقي أَئمة المسلمين على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم .

تركزت مسيرة البحث في الحقبة الواقعة من بدايات تأسيس الدولة الصفوية عام ١٥٠٨م في إيران وما قابلها في الجانب الآخر من صراع أزلي مع القوة الحاملة لراية الاسلام حسب رؤيتها هي الاخرى مع اختلاف المنهج والعقيدة المتمثلة بالدولة العثمانية في بلاد الأناضول حتى سقوط الدولة الصفوية على يد نادر الدين الانتشاري عام ١٧٣٦م .

لم يكن الاختلاف المذهبي والعقائدي بين الدولتين الصفوية والعثمانية عائقاً امام اهتمام شاهات وسلاطين هاتين الدولتين بالمراقد المقدسة واماكن تواجدها ،للأمانة العلمية نقول رغم هذه الاختلاف في العقائد والاتجاهات المذهبية فإن شاهات الدولة الصفوية وسلاطين الدولة العثمانية كانوا يولون هذه المقامات المقدسة وكذلك الاهتمام بالمناطق والمدن المقدسة التي احتضنت رفاة ائمة المسلمين وعلمائهم ، ويمكننا القول:- إن هذه الاهتمام والرعاية الواضحة كانت من أهم أسبابها الايحاء للناس الذين يقدسون ائمتهم ومراقدهم بأن احتلالهم للعراق في فترات متعددة لم يكن إلا وفق واجب شرعي لسلاطين وحكام يعتقدون في أنفسهم أنهم أئمة للمسلمين تقع على العامة واجب إطاعتهم وإن هذه الاحتلالات ما هي إلا من الواجبات الشرعية الملقاة على عاتقهم وان على المسلمين إطاعتهم والقبول بتولي أمورهم رغم أننا نؤمن بأن هؤلاء لم يكونوا سوى محتلين يمثلون مصالح دولهم في السيطرة على بلاد المسلمين وبالأخص العراق ونهب خيرات هذه البلدان . وان هذا الاحتلال يمكن له أن يبدي اهتماماً ورعاية لأضرحة المسلمين وهذا لم يكم سبباً كافياً في تخليص الناس من سطوتهم وقسوتهم في

أحيان كثيرة فقد أباحوا الناس قتلاً وتشريداً وقد يأتي ذلك في مرات عديدة من خلال خلفية مذهبية مقيتة وبائسة .

وهذا القول ليس معناه إنا نقع في تباين الموقف التاريخي أو التناقض العلمي ، وإنما نقصد به إيضاح الاهتمام بأماكن المسلمين المقدسة وأضرحة أئمتهم من أجل خلق حالة من القبول والرضا باعمال هؤلاء المحتلين ولكنهم في الوقت نفسه كانوا غلاة في أحيان كثيرة ويسفكون دماء نفس هؤلاء المسلمون ممن في طريق تحقيق مصالحهم في هذه البلاد .

في الوقت الذي كانت فيه قوة الدولة العثمانية تتعاظم على أثر فتح القسطنطينية كانت منطقة أذربيجان الايرانية تتمخض عن حركة صوفية قدر لها فيما بعد ان تكون خطراً جسيماً على الدولة العثمانية هي الحركة الصفوية [١] . ومما يجدر ذكره ان الطريقة الصوفية لم تكن في بداية أمرها تختلف كثيراً عن الطريقة البكتاشية من حيث كونها مزيجاً من التصوف والتشيع الاثنى عشري [٢] .

ففي الوقت الذي أصبحت أيران خلال حكم دولة الخروف الابيض (الآق قوينلو) مسرحاً للحروب والفتن بين الطامعين في العرش والسلطة كانت في الشمال الشرقي من منطقة أردبيل تنمو أسرة صوفية اتخذت الفكر الشيعي أساساً لحركتها عرفت هذه الأسرة بالصفوية نسبة الى الشيخ صفي الدين الأردبيلي جد الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية الذي جعل من المذهب الشيعي ديناً رسمياً للدولة التي أسسها في إيران [٣] .

في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي (مطلع القرن الثامن الهجري)، ظهرت في بلاد الترك الأذريين (أذربيجان) حركة صوفية شيعية ، بزعامة رجل دين متصوف يدعى الشيخ صفي الدين (١٢٥٢-١٣٣٤م) ، يقال بأنه كان عالماً في الطب والفلسفة والشريعة والمنطق . وقد اشتهر عنه بأنه صاحب كرامات ، وإنه من السادة الأشراف ينتسب الى الإمام علي بن ابي طالب عن طريق الحمزة بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق (عليهم السلام) [٤] .

وبعد معارك فاصله خاضها زعيم الحركة الصفوية اسماعيل[٥] الشيخ حيدر مع حكام الآق قوينلو في اردبيل وباكو وشيروان، زحف في بداية القرن السادس عشر، أي في حدود سنة ١٥٠٠ م، على رأس كتائب القزلباش[٦] نحو العاصمة تبريز واستولى عليها وكان ذلك في عام ١٥٠٧ م ، وفي تبريز وضع الشاه إسماعيل التاج على رأسه واطلق على نفسه لقب شاهنشاه ، وأعلن قيام الدولة الصفوية [٧] ، واتخذ من تبريز عاصمة التركمان الأذريين ، عاصمةً لتلك الدولة الثورية [٨] . أما الوند بك فقد هرب الى بغداد وكان الوالي عليها من قبل حكومة الآق قوينلو باريك البايندري ، ومنها مضى الى حلب [٩] .

أعلن الشاه إسماعيل في يوم تتويجه في تبريز ، التشيع الامامي الاثنى عشري [١٠] مذهباً رسمياً للدولة الجديدة ، وانه المذهب الوحيد المسموح به في الدولة ، وأمر أن تضاف الى الأذان عبارة " اشهد ان علياً ولي الله "[١١] .

ويروى عنه انه عندما فتح تبريز في بداية أمره أراد فرض التشيع على اهلها بالقوة فنصحه بعض مستشاريه من رجال الدين ان لا يفعل ذلك بحجة ان ثلثي سكان المدينة من

اهل السنة ، ولكنه أجابهم قائلاً : ((أنا مكّلف بذلك وأن الله والأئمة المعصومين معي ، وأني لا أخاف أحداً ، فاذا وجدت من الناس كلمة أعتراض شهرت سيفي بعون الله فيهم فلا أبقي منهم أحداً حياً))[١٢] .

ويعلق الدكتور علي الوردي في معرض وصفه لشخصية الشاه إسماعيل الصفوي فيقول : ((يخيل لي ان الشاه إسماعيل كان من أولئك الرجال الذين يملكون مواهب نادرة – سلبية وايجابية معاً – وهم مؤمنون أن القدر هيأهم للقيام بمهمة ما . والظاهر أنه حين قام بفرض التشيع على الإيرانيين كان واثقاً بأنه مكلف بذلك من قبل قوة روحية عليا ، أنه على أي حال كان معتقداً بأن هاتفاً غيبياً يدفعه ويرشده في أعماله ، ولا ننسى أنه كان رجلاً صوفياً ومن شأن الصوفية بوجه عام أنهم يؤمنون بـ((الكشف)) – أي الالهام الغيبي – والمعروف عنه أنه كان يعلن لمريديه أنه لايتحرك إلا بمقتضى أوامر الائمة الاثنى عشر (عليهم السلام) وأنه لذلك معصوم وليس بينه وبين الامام المهدي فاصل . ولعلني لا أعدوا الصواب اذا قلت أن جميع الأمور المستحدثة التي ادخلها إسماعيل في التشيع الإيراني قد انبعثت من هذه النزعة الصوفية فيه اذ لم يكن في مقدور أحد أن يفرض مثل تلك الأمور على الناس دفعة واحدة دون أن يستند فيها على ((الكشف)) ودعوى الإلهام الروحي [١٣] .

احتلال الشاه إسماعيل الصفوي لبغداد ١٥٠٨ – ١٥٢٤م
واهتماماته بالأماكن والمراقد المقدسة في العراق

لقد أرعبت انتصارات الشاه إسماعيل الوالي باريك آخر حكام الآق قوينلو[١٤] في بغداد ، فَظَلَّ في حيرة من أمره ، وفي محاولة منه للتمسك بأهداب الحكم في بغداد ، قرر استرضاء الشاه إسماعيل ، فأرسل اليه أَحد امرائه ومعه تحف وهدايا لإظهار الطاعة والخضوع . ولكن الشاه إسماعيل لم يأبه بتلك الهدايا ، وطلب من الرسول أن يقدم إليه "باريك" بنفسه لتقديم مراسم الطاعة والأذعان [١٥].

غير أن باريك أحجم عن الذهاب ، وبدلاً من ذلك شرع في اصلاح أسوار وقلاع بغداد استعداداً للطوارئ ، وأخذ يكدس المُؤمَن في مخازنه تحسباً لما يخفيه له المستقبل . ويقال بأنه بعث عساكره الى مختلف الانحاء ، فأخذوا ينهبون ما يجدون لدى السكان من حبوب ومؤَن ، وهكذا جمع من الحنطة والشعير ما يكفي لأعاشة جيشه لمدة ثلاث سنوات [١٦] .

ان اجراءات "باريك" تلك ، والتي كانت مثالاً للظلم والتعسف والعدوان ، فجرت موجة جديدة من الاحتجاجات بين العراقيين الذين تعرضوا للنهب والسلب ، وكان على رأس المعارضة التي تحدت اجراءات باريك ، نقيب اشراف بغداد والنجف السيد محمد كمونة[١٧] . وإذا أَمرَ باريك بالقبض على نقيب الاشراف وحمله الى بغداد وحبسه في جب مظلم [١٨]. وقد حدث ذلك في وقت كان فيه الشاه إسماعيل يستعد للزحف الى بغداد ، للقضاء على آخر معاقل حكومة الآق قوينلو . وفي أواخر صيف سنة ١٥٠٨م (٩١٤هـ)، أمر الشاه إسماعيل أحد كبار قادة القزلباش المدعو لاله حسين بيك ، بالزحف على بغداد ، وتحرك هو متأخراً عنه [١٩] .

استولى الرعب والهلع على الوالي باريك البايندري حينما وافته اخبار تحرك القزلباش نحو بغداد ، ومع حلول الظلام عبر باريك نهر دجلة وهرب باتجاه حلب ، وعند الصباح تجمع سكان بغداد وزحفوا نحو السجن وحرروا منه نقيب الإشراف السيد محمد كمونة ، وسلموا إليه مقاليد الأمور [٢٠]. ويقال بأن نقيب الأشراف خرج نحيفاً ضعيفاً من ظلمة الجب الذي كان مسجوناً فيه ، وهكذا استلم مقاليد الأمور في بغداد زعيم من عرب العراق ، وبعد قرابة قرنين ونصف من حكم المغول وحكومات قبائل التركمان الرعوية [٢١] .

ولم تكن تمضي بضعة أيام على حكومة السيد محمد كمونة حتى بانت طلائع فرق القزلباش على مقربة من بساتين المدينة ، وفي يوم الجمعة اعتلى السيد محمد كمونة المنبر ، ودعا في خطبة الجمعة للشاه إسماعيل [٢٢] ، وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة ، خرج سكان بغداد وعلى رأسهم نقيب الاشراف ، لملاقاة قائد جيش القزلباش "لاله حسين بك" . وتشير اكثر المصادر التاريخية ، بأن لاله حسين بك استقبل السيد محمد كمونة بكل إجلال واحترام ، وصاحبه لملاقاة الشاه إسماعيل الذي استقبله استقبالاً مماثلاً، وسار الجميع نحو بغداد[٢٣] .

وبتاريخ (٢٥جمادي الثاني سنة ٩١٤هـ) ١٥٠٨م وافى الشاه إسماعيل بغداد وقد فرح به السواد الاعظم وقدموا له الذبائح واحتفلوا بقدومه . نزل بستان بير بوداق فالتجأ الناس اليه ، وزاد الشاه في رتبة السيد محمد كمونة ...[٢٤].

((وفي اليوم التالي توجه الى كربلاء المقدسة ، وأدى مراسيم الزيارة ، وبات ليلة معتكفاً في الحائر ، منكباً على قبر الامام الحسين (عليه السلام) وأمر بصنع الصندوق المذهب للقبر الشريف ووقد فيه اثنى عشر قنديلاً من الذهب[٢٥] ، وفرش رواق الحضرة بأنواع المفروشات القيمة [٢٦]، وخاصة من السجاد الثمين [٢٧] ، واعتكف عند ضريح الامام [٢٨]. كما أمر بصنع صناديق اخرى للنجف الأشرف والكاظمية وسامراء بدلاً من صناديقها القديمة [٢٩].

ثم رجع في اليوم التالي متوجهاً الى الحلة ، ومنها سافر الى النجف الأشرف لزيارة مرقد الامام علي (عليه السلام) ، وقد تشرف بزيارة المشهد العلوي وقدم القناديل من الذهب والفضة ، والمفروشات الثمينة [٣٠] ، كما قدم النوادر الفاخرة والهدايا الجزيلة لسكان المدينة وأنعم بإنعامات وافرة ، ثم رجع الى الحلة))[٣١] .

وأثناء زيارته للنجف ولى الشاه إسماعيل حكومة النجف وإدارة بعض ولايات عراق العرب أي نقيب الاشراف السيد "محمد كمونة" ، وهكذا قامت في النجف حكومة تدير شؤون عرب العراق ، تشبة الى حد كبير حكومة الشريف احمد بن رميثة بن أبي النمي ، التي قامت في الحلة ، تلك التي قضى عليها الشيخ حسن الجلايري في سنة ١٣٣٩م ، وكما تشير بعض المصادر، فإن السيد محمد كمونة كان مطاعٌ في العراق وله جاه واحترام ونفوذ تام [٣٢].

ويقال ان الشاه إسماعيل اثناء أقامته في النجف الاشرف وجد ان النهر الذي حفره عطا ملك الجويني من نهر الفرات وأجرى منه الماء الى النجف ، قد انطمر بسبب الأهمال فأمر بتجديد حفره ، فحدثت عليه ضياع بساتين ، أرصد الشاه ريعها للمقيمين على خدمة المشهدين الشريفين العلوي والحسيني في النجف وكربلاء ، فأشتهر ذلك النهر (بنهر الشاه)[٣٣] .

عاد الشاه الى بغداد لاداء زيارة الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد (عليهما السلام) ، وقدم هدايا جزيلة للقائمين على خدمة الضريح [٣٤]، وشرع ببناء حرم الكاظمين والمسجد الكبير المعروف بمسجد الصفويين[٣٥] . ثم توجه بعد ذلك الى سامراء لزيارة مقام الإمامين علي بن محمد الهادي والحسن العسكري (عليهم السلام) [٣٦].

عين الشاه اسماعيل في الكاظمية المقدسة السيد عطيفة ، وهو من ذرية شريف مكة حميضة بن أبي نمى ، نقيباً وسادناً للروضة الكاظمية. وأميراً للحج العراقي ، وأقطعه الأراضي المعروفة في بغداد باسم "العطيفية" [٣٧] .

عين الشاه إسماعيل قبل مغادرته في أدارة بغداد أمير الديوان (خادم بك) وأوصاه بتسيير الأمور والعناية بالأئمة والعتبات المقدسة [٣٨]. هذا الى جانب حبه وتعظيمه العلماء والعلويين ، وانعامه عليهم بالأموال والمناصب والأستعانة بأهل الكفاءة والمقدرة على نشر المذهب ، وإعلان أسماء الأئمة ألاثني عشر على المنابر وفي المحافل ، وبشتى المناسبات [٣٩].

ولابد من الاشارة الى أن الشاه إسماعيل قد استولى على بغداد ولم يكن قد مضى سوى ثمانية أعوام على قيام الدولة الصفوية ، التي كانت لا تزال في دور التكوين وتفتقر الى المؤسسات الادارية ، لذا اتبع منذ البداية سياسة إدارية لا مركزية ، تعتمد على القوى المحلية في كل إقليم ، وفي هذا الإطار وبما يخص العراق ، ترك الشاه إسماعيل حكومة المنتفك التي

كانت تتخذ من البصرة مقراً لها على وضعها السابق ، وأطلق لها إدارة شؤون عرب العراق في الجنوب [٤٠]. وكما لاحظنا فقد ولى حكومة النجف وإدارة شؤون عرب العراق في المناطق الوسطى الى نقيب الأشراف السيد محمد كمونة .

لقد أضفت تلك السياسة الصفوية الجديدة مناخاً لم يشهد العراق مثله منذ فترة طويلة ، كان من أهم مظاهرها استتاب الأمن وانتعاش التجارة وتحسن الأوضاع الاقتصادية في مناطق عرب العراق . وقد استمر ذلك الوضع حتى وفاة الشاه إسماعيل في سنة ١٥٢٣م[٤١]. أما بعد ذلك فأن المشاكل السياسية والهزات التي واجهت الدولة في عهد ولده الشاه طهماسب ، كان لها بعض الآثار السلبية في العراق .

وبهذا الصدد كتب المؤرخ البريطاني لونكريك عن العراق في عهد الشاه إسماعيل فقال :-

((وفي السنين المنحصرة بين زيارة الشاه إسماعيل للعراق في ١٥٢٤م مرَّ على العراق نصف جيل من السلم والهدوء ، وكانت تأثيرات العتبات المقدسة القوية تؤيد الحكم الجديد فتقاطر التجار الايرانيون على بغداد ، وجذب نفوذ الصفويين الديني حتى العشائر النهرية المتمردة وكان احد الحكام العرب في البصرة يدفع أتاوة سنوية الى الشاه ...))[٤٢] .

لم يمض على احتلال الشاه إسماعيل لبغداد سوى أربع سنوات حتى تولى عرش السلطنة العثمانية في اسطنبول ، رجل شديد المراس لا يقل عن الشاه إسماعيل في تعصبه المذهبي وتعطشه للدماء – هو السلطان سليم الذي اشتهر بلقب ((ياوز)) ومعناه الصارم الذي لا يعرف اللين [٤٣]. فقد أعلن السلطان سليم نفسه حامياً لأهل السنة وزعيماً لهم ، واستحصل من بعض رجال الدين فتوى تجيز له قتل الشيعة باعتبارهم مارقين عن الإسلام [٤٤] ، ثم وضع خطة للقضاء على جميع الشيعة الساكنين في داخل حدود سلطنته[٤٥].

بحسب التقسيم التاريخي الذي يضعه اغلب المؤرخين عند تحقيب الدولة العثمانية ، فإن عهد النشأة والنمو ينطلق بين ١٣٠٠ – ١٤٠٢م وفيه شهدت الدولة العثمانية التوسع والنمو سواء في آسيا او اوربا ، وتمتد حتى غزو تيمور لنك لها ، وضعفها بشكل مؤقت وحكمها خلال هذه المرحلة أربعة سلاطين هم عثمان الأول ، أورخان ، مراد الأول ، بايزيد الاول[٤٦] .

ويعد عثمان في الواقع المؤسس الأول للدولة العثمانية ١٢٨٩-١٣٢٦م ففي عهده انتهى موقف التبعية السياسية والحربية للسلاجقة ، بعد ان قضى المغول على دولة سلاجقة الروم في

قونية عام ١٣٠٠م ولم يسع هؤلاء نفوذهم نحو شمال غربي آسيا الصغرى حيث سلطة بني عثمان ، وأصبح عثمان من ثم السلطان الحقيقي في هذه المنطقة [٤٧].

ويشكل عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢- ١٥٢٠م) الذي خلف والده "بايزيد الثاني" على العرش فترة مهمة على الساحة العربية ، وتم ضم جزء كبير منها الى الأراضي العثمانية ، فكان سليم غازياً عظيماً وأطلقت عليه لقب "باووز أي القاي" وكان مستبداً بالحكم بشكل مطلق وقبض على الإمبراطورية بقبضة من حديد [٤٨] . فقضى على خصومه من الأمراء العثمانيين الذين ادعوا بحقهم في العرش ، وفرَّ الآخرون من أمامه ، فتفرغ الى الشرق ، واعتقد أن سياسة الدولة العثمانية في اتخاذ آسيا ميداناً للفتوحات ، ودخل في مفاوضات مع جيرانه الأوربيين . علماً أن التحدي الصفوي كان يواجهه من لدن الشاه إسماعيل الصفوي ، فضلاً عن الاختلاف المذهبي بين الطرفين [٤٩].

اذ لم يمض على احتلال الشاه إسماعيل الصفوي لبغداد سوى أربع سنوات حتى تولى عرش السلطنة العثمانية في اسطنبول السلطان سليم وهو رجل شديد المراس لا يقل عن الشاه إسماعيل في تعصبه المذهبي وتعطشه للدماء وقد اشتهر بلقب ((ياوز)) ومعناه الصارم الذي لا يعرف اللين [٥٠] .

ولم يكد السلطان العثماني سليم الأول يسمع باحتلال الشاه إسماعيل العراق حتى بدا بالاستعداد لمواجهة الصفويين وأخراجهم من العراق ولأجل أن يثير النخوة المذهبية والحماسة الدينية لدى الشعوب القاطنة في الدولة العثمانية ، الذين يدينون بمذهب أهل السنة والجماعة[٥١] ، بعدما أعلن نفسه حامياً لأهل السنة وزعيماً لهم [٥٢] ، فاستحصل فتوى من بعض رجال الدين تجيز له قتل الشيعة باعتبارهم ما رقين عن الإسلام [٥٣] ، ثم وضه خطة للقضاء على جميع الشيعة الساكنين في داخل حدوده [٥٤] .

استعد السلطان سليم لمقابلة قوات الشاه إسماعيل في عقر داره وفي سنة ١٥١٤م توجه الشاه إسماعيل على رأس قواته الى ايران ووقعت معركة طاحنة بين جيوش السلطان والشاه وهي المعركة التي عرفت في التاريخ باسم جالديران نسبة الى الموضع الذي حدثت فيه على مقربة من تبريز وكان النصر فيها حليف الجيش العثماني ، وقد أمر السلطان بذبح جميع الأسرى وان يصنع من جماجم القتلى هرم لينصب في ساحة المعركة – كما هي عادة المنتصرين في ساحة المعركة [٥٥]

في عام ١٥٢٠ توفي السلطان سليم بمرض السرطان ولم يكن قد تجاوز الحادية والخمسين من عمره ، فتولى العرش مكانه ابنه سليمان . وكان هذا على النقيض من أبيه رحيماً يحب العدل ، ودام حكمه ستة وأربعين سنة ، ووصلت الدولة العثمانية في عهده الى أوج اتساعها ومجدها . وقد أطلق الأوربيون عليه لقب ((العظيم)) كما أطلق عليه الأتراك لقب ((القانوني)) و((سيد عصره)) [٥٦] .

بعد مرور عام واحد على فشل حملاته الأوربية والتي لم يتمكن فيها من اقتحام اسوار فيينا، وما يقارب العقدين من الزمن ، على الحملة العسكرية العثمانية الأولى ضد الدولة الصفوية ، بدأت استعدادات عثمانية جديدة ، لشن حرب واسعة باتجاه الشرق ، كان هدفها القضاء على الدولة الصفوية ، وضم أقاليمها الى الامبراطورية العثمانية ، ذلك المشروع العسكري الذي توقف ، بعد وفاة السلطان سليم الأول ، بسبب انشغال الدولة بأمور أخرى .

كان السلطان سليمان منذ توليه الحكم يواجه ضغطاً من قبل حاشيته ومستشاريه يحثونه على ((انقاذ)) بغداد من أيدي الإيرانيين وعلى إعادة تعمير مرقد ((الإمام الأعظم)) أبي حنيفة[٥٧] ، وكان الشعراء يستثيرون نخوته في هذا السبيل ، و((الأغواث)) يذكرونه دائماً بوجوب اكتساح الإيرانيين ((المارقيين)) بالنار والسيف على طريقة أبيه السلطان سليم [٥٨].

في عام ١٥٢٤ توفي الشاه إسماعيل فخلفه على العرش ابنه الأكبر طهماسب الذي لم يكن عمره آنذاك يزيد على العشر سنوات ، وقد أرسل السلطان سليمان يهنئ الشاه الجديد ولكنه استعمل عبارات الوعيد في أخريات رسائله ، وفي السنة التالية ذعر البلاط الصفوي عند سماعه بالاستعدادات العسكرية الواسعة النطاق التي كانت تجري في اسطنبول [٥٩].

في هذه المرة أوكلت تلك المهمة بابراهيم باشا و الذي سار على رأس الجيوش العثمانية نحو حلب ، وفي ربيع سنة ١٥٣٤ م باشر بالزحف نحو عاصمة الدولة الصفوية تبريز [٦٠] . كان ذلك في وقت دخلت فيه الدولة الصفوية ، مرحلة غياب القيادة القوية القادرة على الحفاظ على وحدة البلاد وقوتها ، بعد تولي طهماسب ذو العشرة أعوام– كما ذكرنا– الحكم الصفوي . ولذا لم يكن أمام القيادة العسكرية الصفوية ، سوى تحاشي الاصطدام بالجيوش العثمانية .

وبعد الاستيلاء على تبريز ، وصل السلطان سليمان . ومن تبريز زحفت الجيوش العثمانية جنوباً نحو سلطانية ، غير أن وعرة الطرق والمسالك عبر تلك المرتفعات ، حالت دون مرور المدافع العثمانية الضخمة ، وهي السلاح الفتاك الذي مكن العثمانيين من تدمير أقوى الجيوش . ولذا قررت القيادة العثمانية عدم مواصلة الزحف نحو سلطانية ، لتفادي

مواجهة جيش القزلباش الصفوي ، من دون مدافعها الضخمة [٦١] . بعد ذلك الفشل ، قررت القيادة تغيير مسيرة تلك الحملة العسكرية الكبيرة ، فاتجه نحو الجنوب في المناطق الغربية من إيران ، وكانت الجيوش الصفوية تنسحب أمامه مرحلة بعد أخرى ، حتى وصل همدان ومنها تتجه غرباً نحو بغداد [٦٢] .

في بداية الزحف نحو بغداد ، سار جيش عثماني بقيادة "إبراهيم باشا" واستولى على الموصل . وفي تلك العملية ، اصطحب إبراهيم باشا معه أولامة بك ، أحد أمراء قبيلة "تكلو" التركمانية الموالية للصفويين . كان أولامة بكَ حاكم تبريز ، ومن الموالين للشاه طهماسب ، ولكنه تحول في تلك الأيام الى الجانب العثماني ، وتذكر بعض المصادر ان تحوله هذا لما وجد من الشاه من خوف ، فرغبه في حرب ايران وزاد في نشاطه [٦٣].

في اثناء ذلك ورد بغداد رسول من قبل الشاه طهماسب ، طلب من الوالي محمد خان إخلاء بغداد والانسحاب مع رجال قبيلته الى إيران. وحينما اجتمع محمد خان برجال قبيلته للتشاور [٦٤] ، عبر غالبيتهم عن رغبتهم في البقاء في بغداد ، ولكن محمد خان هددهم بتخريب بيوتهم لإجبارهم على الرحيل معه [٦٥] . غير أن نقيب الأشراف السيد حسين ابن السيد محمد كمونة توسط في الأمر ، وطلب من الوالي عدم إيذاء أفراد قبيلته ، فأذعن محمد خان واستجاب لوساطة نقيب الأشراف ، وحينما اقتربت طلائع الجيش العثماني من مشارف بغداد ، عبر محمد خان تكلو نهر دجلة بمن تبعه من رجال التركمان وسار نحو الشاه طهماسب عن طريق البصرة [٦٦].

والواقع إن هذا الزحف الطويل لم يكن موفَّقاً كل التوفيق ، فقد عانى الجيش العثماني فيه من شدة البرد وكثرة الأمطار والوحول أمراً عظيماً ، وفقد الكثير من مدافعه وحيواناته ، ولم يصل الى مقربة من بغداد الا وهو في أشد حالات الوهن [٦٧] . ويبدو أن وصول السلطان سليمان على رأس جيشه – ومعه المدافع – الى مقربة من بغداد بعث الرهبة في قلوب الحامية الصوفية ، فقد كانت تلك أول مرة يسمع أهل بغداد فيها عن المدافع [٦٨] . وعلى أي حال فقد دخل السلطان بغداد فاتحاً دون مقاومة ،وكانت الحامية الصوفية قدانسحبت منها قبل ذلك[٦٩] .

كان دخول السلطان سليمان الى بغداد في اليوم الأخير من عام ١٥٣٤، المعروف عنه أنه لم يسمح بالنهب أو إيذاء أحد من السكان [٧٠] .

الاحتلال العثماني لبغداد في عهد السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٤م واهتماماته بالأماكن والمراقد المقدسة في العراق:-

بعد مرور بضعة ايام على وصول طلائع الجيش العثماني من مشارف بغداد، وصل موكب السلطان سليمان القانوني مرقد الإمام أبا حنيفة [٧١] ، فترجل وزار المرقد ، ثم مضى نحو بغداد ودخلها في يوم الأثنين ٢٤جمادي الأولى سنة ١٤١هـ – ١٥٣٤م بدون قتال [٧٢] .

وبعد ان استراح السلطان سليمان القانوني في بغداد أربعة أيام ، قام بزيارة المراقد المقدسة فيها، فزار مدينة الكاظمية المقدسة ، وبعد زيارة مرقدي الإمامين ، موسى بن جعفر الكاظم ، وحفيده الإمام محمد الجواد (عليهم السلام) ، أصدر فرماناً بمواصلة العمل الجاري في تشييد المرقدين [٧٣] ، الذي بدأ في عهد الشاه إسماعيل الاول الصفوي فحينما زار الشاه إسماعيل الكاظمية المقدسة ، وجد أن بناية مرقدي موسى الكاظم ومحمد الجواد (عليهم السلام) قديمة وصغيرة ، ولا تسع المصلين والزوار . فأمر بقلع العمارة القديمة ، وتشييد عمارة أوسع ، وأمر بتشييد أربع مآذن بدلاً من المئذنتين القديمتين ، وتشييد مسجد كبير في الجهة الشمـــــــالية للحرم [٧٤].

زار السلطان سليمان مدينة الكاظمية بعد حوالي ربع قرن من الزمن ، وجد أن جميع الأعمال في هيكل الحرم وروضته والقبتين والمسجد قد أنجزت ، بما في ذلك أعمال الرخام والقاشاني. بينما كان العمل قائماً، لأكمال تشييد المنائر الأربع الكبيرة، التي بلغت ارتفاعاً يعلو سطح الحرم بقليل . فأمر السلطان سليمان بالاستمرار بالعمل وإكمال تشييد المآذن[٧٥]. وأثناء ذلك أقر مرتبات وعطايا السدنة والمقيمين على خدمة المرقدين المقدسين ، على أن تدفع من خزانة بغداد [٧٦] .

ثم توجه نحو كربلاء المقدسة لزيارة مرقد الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ، وقد وجد أن النهر القديم الذي يتفرع من نهر الفرات والذي يسمى بنهر الحسينية[٧٧] ويجري نحو وادي كربلاء ، قد انطمر مجراه وجفت المياه فيه ، فأمر بإعادة حفر ذلك المجرى لإيصال المياه مرة أخرى الى المدينة المقدسة . ويقال أن المهندسين الذين نفذوا المشروع ، أدخلوا تعديلات مهمة على المجرى القديم مما سهل عملية جريان المياه في ذلك النهر [٧٨] .

ويروي لنا الأستاذ عباس العزاوي وصفاً دقيقاً عن هذا النهر بما نصه :-

((هذا النهر من أعظم أعمال السلطان كان يسمى بأسمه (النهر السليماني) والآن يسمى (بالحسينية) . أجراه الى كربلاء فأحياها . ولم يوفق السلاطين السابقون أيام غازان

وغيره ومنهم الشاه إسماعيل ، والشاه طهماسب في حل مشكلته . واعتقد ان السلطان كان يملك أكبر المهندسين ، فتمكن من العمل . وتم المشروع على يده . ويقال أن هندسته كانت فائقة تدل على خبرة ومقدرة ممن أحضرهم من المهندسين من الاستانه ولا شك أنه كان أقرب لأستخدام أعاظم المهندسين وهو من أعظم الملوك وليس لدينا ما يوضح الأعمال الهندسية ووصف خطورة المشروع والخطط التي قام بها رجاله ولا علمنا عن هؤلاء المهندسين . والأعمال تنسب الى السلطان وحده والنهر بوصفه شاهد العظمة . والآن كربلاء قائمة بدوامه والعمارة المشهودة في كربلاء والحياة الزراعية ، والبساتين فيها قامت بسبب من هذا الأثر ، فتجددت حياة اللواء ، وصار يعد من أعظم المشاريع الإصلاحية بل كان حقيقة مشروعاً جليلاً في حياة البلد وما جاوره من بقاع تصل مياهه اليها . ثم بعد مشروعه هذا بمدة طويلة قامت (سدة الهندية) واكتسب شكلاً أعظم ونتائج مهمة خصوصاً بعد اتخاذ الأبواب واستخدام لوازم العمارة والإرواء الحديثة . فعليه الآن عمارة اللواء وقوام حياته . وعلى ما حققه بعض المؤرخين أن المهندسين كانوا يرون أن كربلاء في محل عال ونهر الفرات منخفض عنها فيستحيل إيصال الماء اليها فكان إيصال الماء اليها يحتاج الى خبرة هندسية كاملة فتمت في عهد هذا السلطان . وعد صاحب كلشن خلفا ذلك كرامة من كراماته وبركة من بركات توفيقه وإقباله . وأظن أنه يقصد بذلك التفاته لهذا المشروع واهتمامه في انجازه ...)) [٧٩] .

سار السلطان سليمان نحو مدينة النجف الأشراف بعد زيارته لكربلاء ماراً بالحلة والكوفة ، ويذكر أنه حين صار على بعد أربعة فراسخ من النجف ، ولمح القبر المقدس فيها ، ترجل عن فرسه وأخذ يمشي على قدميه قائلاً أن أعضاءه اهتزت لمرأى القبة . وتروى عنه أبيات من الشعر في تمجيد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نطق بها وهو يمشي نحو النجف[٨٠] .

اتجه السلطان سليمان زيارته لكربلاء والنجف لزيارة قبر الإمام أبي حنيفة ، بعد ان هدمه الصفويين ونبشو قبره [٨١] ، وحين شاهد السلطان سليمان ما نال المرقد من إهمال وخراب ، أصدر أوامره باعمارهه مع باقي أنحاء المرقد [٨٢] ، كما أمر بتشييد جامع عليه[٨٣]. والظاهر انه لم يكن حول القبر سكان آنذاك فأمر السلطان بإقامة دار الضيافة يقدم فيها الطعام للزوار الواردين . وبنى عمارة ومدرسة وحماماً وخاناً ونحو أربعين أو خمسين دكاناً، ثم أمر بتشييد قلعة في الأطراف لحمايتها وضع فيها مدافع ومعدات حربية ، وأسكن فيها ثلة عسكرية يبلغ عددها مائة وخمسين جندياً [٨٤] . وعين للقلعة دز داراً (محافظاً)[٨٥] . وشكل القلعة مربع باستطالة قليلة ومحيطها ثمانية آلاف خطوة [٨٦] . وأنشأ حولها بساتين وحدائق[٨٧] . وعلى هذا

الأساس ، فإن بعض المؤرخين ينسبون تأسيس قصبة الأعظمية الى السلطان سليمان القانوني [٨٨].

وفي تلك الآثناء شاعت حول القبر قصة عدت كرامة للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان خلاصتها أن أبا حنيفة – قبل أن ينبش الصفويون قبره – ظهر في المنام للسادن وقال له : ((ضع الصندوق الذي على قبري على الضريح الذي هو المحل الفلاني لأن هناك كافراً مستحقاً للعذاب)) فأستيقظ السادن وفعل ما أمر به أبو حنيفة دون أن يعرف السبب فيه . ولم يمض على ذلك مدة طويلة وفتحوا القبر فوجدوا فيه جسداً ملوثاً حسبوه جسد أبي حنيفة فالقوه في النار . ولما أستعاد السلطان سليمان بغداد ظهر أبو حنيفة في المنام لأحد عرفاء الجيش (جاوش) يخبره بمكان قبره الحقيقي ، وعندما حفروا فيه وجدوا صخرة كبيرة تفوح من تحتها رائحة طيبة أنعشت الحاضرين ' فترك السلطان الصخرة في موضعها وأهال عليها التراب وأمر بتشييد القبة فوقها [٨٩] . وقد اعتقد الجيش في ذلك علامة تدل على ان السلطان سليمان موّجه من الله [٩٠] .

وتذكر المصادر أن السلطان خصص مبلغ مائة ألف دينار لهذه التعميرات ولاعمار قبة الزاهد الصوفي عبد القادر الكيلاني [٩١] ، اذ ينقل لنا الأستاذ عباس العزاوي انه : ((رأى السلطان أن مزار الشيخ عبد القادر قد وهى ، وعاد انقاضاً بالية ، فأمر أن ترفع له قبة عليه ، وان تتخذ دار ضيافة للفقراء والأرامل ، وأهل البلد ومن حولهم فقاموا بالأمر...))[٩٢] . كما شيد تكية للصوفية وعمارة وعين لها أوقافاً [٩٣] . وفي معرض وصفه للطريقة القادرية ينقل لنا الأستاذ عباس العزاوي ما نصه :-

"تكية الشيخ عبد القادر الكيلاني غير منفكة عن الجامع ، وان الدراويش يسكنون الجامع في حجر خاصة ، تاريخ تكونها قديم يرجع الى تاريخ تكون الطريقة . فهما متلازمان"[٩٤].

العلاقات الصفوية – العثمانية وأثرها في العراق منذ عام ١٥٥٥م حتى احتلال الشاه عباس لبغداد عام ١٦٢٣م:-

استمرت الحملات العسكرية المتبادلة بين قوات الشاه الصفوي طهماسب والسلطان سليمان القانوني مدة طويلة من الزمن ، وقد أتعبت هذه الحروب كل من الدولة الصفوية والعثمانية في آن واحد ، وبات واضحاً لطهماسب أن استعادة العراق أصبح مستحيلاً وفي

الوقت نفسه تبين أن العثمانيين لا يستطيعون الانتصار في حرب ثانية وثالثة دون أن يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في الدولة الصفوية ولهذا كانت الظروف مهيأة لعقد صلح بين الطرفين [٩٥] انطلاقاً من هذه الحقيقة أرسل طهماسب سفيراً يدعى فرخزاد بيك للمفاوضة مع السلطان العثماني وعلى أثر المساعي الحميدة للسفير ومحاولاته الجادة وقناعة الطرفين المتخاصمين بأن الحرب لن توصلهما الى نتيجة حاسمة جنح الطرفان الى السلم ووصل الشاه طهماسب الى قناعة أكيدة بأن استعادة بغداد من العثمانيين أصبحت أمراً مستحيلاً وتبين لسليمان القانوني أيضا أن قواته لن تتمكن من تثبيت اقدامها في الممتلكات الصفوية عليه أصبحت الظروف مهيأة لعقد صلح بين الطرفين المتخاصمين وهو الصلح الذي عرف باسم صلح اماسيا (Amassia) عام ١٥٥٥م[٩٦]، وتنص اتفاقية الصلح على البنود الآتية :-

١- ترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية .

٢- تتحدد حدود ولاية شهرزور منعاً لوقوع الحوادث المعكرة لصفو السلام بين الدولتين.

٣- تأمين سلامة الحجاج الإيرانيين الذاهبين الى زيارة العتبات المقدسة الشيعية والى الاراضي الاسلامية المقدسة في الحجاز[٩٧] .

لاشك ان هذه الاتفاقية على بساطتها وقلة مواردها تكشف لنا عن الأسباب التي أدت الى نشوب النزاعات والصراعات الطويلة بين الدولتين الإسلاميتين المتجاورتين وبعد أبرام معاهدة أماسيا بين الشاه طهماسب والسلطان سليمان القانوني سارت العلاقات بين الدولتين سيراً حسناً واتسمت بنوع من الهدوء وكان الطرفان يريدان هذا النوع من العلاقات وبحاجة ماسة اليها ليتفرغ كل منهما لمواجهة المشاكل الكبرى التي كانت تواجههما بلادهما [٩٨] .

كان الجزء الأخير من حياة طهماسب مستقراً وساد نوع من الهدوء السياسي ولم يرَ تاريخ إيران علاقة حسنة بين الدولتين العثمانية والصفوية كما كانت عليها أبان السنوات الأخيرة من حكم طهماسب وكانت الهدايا والرسائل المتبادلة بين العاهلين مليئة بالود والاحترام [٩٩] دليلاً على حسن العلاقات السياسية بين الدولتين [١٠٠] وبقيت العلاقات السياسية حسنة بينهما منذ انعقاد معاهدة أماسيا ١٥٥٥م وحتى ١٥٧٧م وكانت جميع المناوشات الحدودية والأزمات المحلية تحل بالطرق السلمية والدبلوماسية بين الدولتين [١٠١].

فعلى الرغم من وجود المآخذ على حكم الشاه طهماسب كَحبِهُ لِجمع المال واعتقاده بالخرافات والفال والاستخارة وتفسير الأحلام وتعصبه الظاهري الشديد للمذهب الشيعي [١٠٢] فكان يعتقد بأن الذين هم ليسوا على مذهب الشيعة انجاس[١٠٣] لكن يجب الاعتراف له بفضل بقاء إيران محتفظة بوحدتها السياسية [١٠٤] ، فقد أنقذ إيران من غزو العثمانيين والاوزبك [١٠٥]

وقضى على جميع الثورات والفتن الداخلية وقضى على تمرد الطامعين في الحكم من أخوانه وصان بذلك استقلال إيران .

تولى الشاه عباس الكبير حكم الدولة الصفوية عام ١٥٨٨ وهو شاب يافع لا يتجاوز السابعة عشرة من عمره [١٠٦] . وفي الواقع أن الدولة الصفوية كانت عندما تسلم الشاه عباس زمام الأمور فيها ، مهددة بالخطر الماحق من الحدود الشرقية والغربية معاً ، فبالإضافة الى الخطر الآتي اليها من جهة الدولة العثمانية كان هناك خطراً آخراً آتياً من جهة دولة الاوزبك الواقعة على الحدود الشرقية ، وقد استطاع الاوزبك إذ ذاك أن يفتحوا بلدة هرات بعد حصار دام تسعة أشهر ، ثم فتحوا طوس (مشهد المقدسة)- وهي البلدة التي تضم مرقد الأمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) – فذبحوا الكثير من سكانها ونهبوا كنوز المرقد الرضوي المقدس وكان من جملة ما نهبوه قطعة من الماس بقدر بيضة الدجاجة ، ثم استمروا في الفتح حتى احتلوا نيسابور وسبزوار واسفرايين وطبس وغيرها من بلدات خراسان [١٠٧] .

وقد أدرك الشاه عباس إنه غير قادر على أن يحارب على جبهتين في وقت واحد فآثر أن يصالح العثمانيين وعقدت معاهدة (فرهاد باشا) في الثاني والعشرين من آذار ١٥٩٠ بين الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الثالث والدولة الصفوية في عهد الشاه عباس باستثناء اردبيل وجزء من لرستان ، وتعهد أن يمنع رعاياه من سب الخلفاء الثلاثة وسب السيدة عائشة في أقاليم مملكته ، ووضع ابن أخيه حيدر ميرزا ابن حمزة ميرزا رهينة لدى العثمانيين في اسطنبول لضمان احترام الصفويين لنصوص معاهدة الصلح واتفق الطرفان على الإفراج عن الأسرى الموجودين لديهما [١٠٨]، وعندما آمن الشاه عباس جانب العثمانيين توجه نحو الاوزبك واستطاع أن ينزل بهم هزيمة ساحقة في سنة ١٥٩٧ وتمكن من استرجاع المناطق التي استولوا عليها منهم ولا سيما بلدة مشهد المقدسة [١٠٩] . ومنذ ذلك الحين بدأ عصر جديد في إيران هو الذي يعده الإيرانيون ((العصر الذهبي)) من تاريخهم الحديث [١١٠] .

كما أنه منذ ذلك الحين تفرغ الشاه عباس لأقرار الأمن والاستقرار داخل بلاده والقضاء على الثورات الداخلية التي أثارها الطامعون في الحكم من إخوته وأقربائه او رؤساء القبائل المختلفة القاطنة في إيران الذين التظوا بنيران ظلم القزلباش وسائر الحكام الخشنين في دولة شاه عباس [١١١] .

أمضى الشاه عباس زهاء خمس عشرة سنة قبل أن يقدم على حرب الدولة العثمانية [١١٢] وقبل أن يشن هذه الحرب أبدى جهداً كبيراً لأعادة تشكيل جيشه وتزويده بمقومات الجيوش العصرية الا وهي الأسلحة النارية والمدفعية وتشكيل جيش موحد مكون من مئة وعشرين ألف

مقاتل علاوة على تشكيل جيشاً خاصاً من المتطوعين المعروفين بـ(شاه سيون) (شاهسون) أي محبي الشاه الذين كانوا مرتبطين مباشرة دون شك في ولائهم له بدلاً من الاعتماد على عشائر القزلباش الرحل الذين لم يكونوا يدينون بالطاعة والانقياد الا الى رؤوسائهم [١١٣] ، فأصبح الجيش الإيراني على مستوى الجيش العثماني من التسلح والعدد والعدة فرجحت كفة الجيش الايراني لاستفادته من الخبراء الأجانب في إعادة تنظيمه وتسليحه .

فقد انتهز الشاه عباس مجيء بعثة تجارية انكليزية يرأسها الأخوان السير انطوني شيرلي وأخوه السير روبرت شيرلي [١١٤] كان في حاشيتهما رجل خبير في نصب المدافع واستعان الشاه عباس بالخبير الإنكليزي في تجهيز جيشه بالمدافع القادرة على مجابهة المدافع العثمانية التي كانت تعد في ذلك العهد أعظم المدافع في العالم اطلاقاً وتزويد قواته بالبنادق التي تجاوزت ستين ألف بندقية وتدريب الإيرانيين على استعمالها [١١٥] .

كان الشاه عباس شديد التعلق بالمذهب الشيعي . حريصاً على إرساء دعائمه ، وقد بذل قصارى جهده في ترويج المذهب الاثنى عشري الشيعي ، ومن مظاهر هذا الاهتمام الزائد حرصه على الاحتفال بكل المناسبات الشيعية مثل أعياد ميلاد جميع ائمة الشيعة ، وكذلك إقامة العزاء في ذكرى وفاتهم أو استشهادهم ، فقد كان يقيم في كل عام مراسم العزاء في اليوم التاسع عشر حتى السابع والعشرين من شهر رمضان بمناسبة استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، كما كان يقيم مراسم العزاء في الأيام العشرة الأولى من محرم وفي ليلة عاشوراء[١١٦] .

ومن مظاهر اهتمامه كذلك ابقاؤه على صيغة الآذان التي استنها جده الشاه إسماعيل الأول ، وهذه الصيغة تضيف الى الصيغة الإسلامية المألوفة في البلاد السنية المذهب ، عبارتي : اشهد ان علياً ولي الله ، وحي على خير العمل [١١٧] .

وكان الشاه عباس حريصاً كذلك على الإكثار من زيارة أضرحة مشايخ الشيعة وأئمتهم ، والقيام بخدمتها ، فكان يزور ضريح جده الشيخ صفي الدين في أردبيل ، كما أكثر من زيارة ضريح الأمام الرضا (عليه السلام) في مشهد ، فقد صب اهتمام الشاه عباس بتعمير مرقد الأمام الرضا وطلاء قبته بالذهب ، وقد بدأ ذلك منذ عام ١٥٩٨ ، وفي عام ١٦٠١م أستطاع أن يسترجع قطعة الماس المنهوبة فأرسلها بفتوى من العلماء الى الروم من أجل بيعها ، ثم اشترى بثمنها أراضٍ وامتلاكا وقفها على المرقد المقدس [١١٨] .

وفي السنة التالية مشى الشاه على قدميه من أصفهان الى طوس (مشهد المقدسة) (١٣٣٣م) وذلك بغية التبرك بزيارة المرقد ووفاء لنذر غير معروف ، وقد بدأ الرحلة يوم

الخميس الخامس عشر من جمادي الأولى عام ١٠١٠هـ ، ووصل الى مشهد في الرابع عشر من جمادي الآخرة من نفس العام [١١٩] . وعند وصوله أخذ يقص بيده فتائل الشموع الكبيرة التي تنير المرقد [١٢٠] ، وقضى هناك ثلاثة أشهر يقوم بالخدمة ، ويعلق "رضا قليخان هدايت" على هذه الرحلة بقوله :-

يدرك علماء التاريخ أنه لا يوجد حاكم سلك مثل هذا الطريق الذي سلكه الشاه عباس ، واذا كان هرقل قد سار من القسطنطينية الى بيت المقدس فقد فرشوا له أرض الطريق بالورد والرياحين . في حين سلك الشاه عباس الطريق على الحصى والرمال دون أن يعبد أو يمهد ، وقد آثر أن يسير حافي القدمين [١٢١] .

وبعد ان هدأت الحروب الدائرة في أذربيجان ، واطمأن الشاه عباس على تثبيت حكمه في كل من أذربيجان وأرمينيا وبلاد الكرج ، بدأ يهتم بمعالجة بعض المشاكل الأخرى ، من هذه المشاكل استرداده جزيرة هرمز وغيرها من الموانئ المهمة التي كان البرتغاليون يسيطرون عليها في منطقة الخليج العربي ، واسترداده كذلك قندهار التي كانت تحت حكم ملوك الهند [١٢٢] .

وبعد ان فرغ من استرداد قندهار توجه صوب خراسان ، ليتفقد أحوالها ، بعد انشغال دام عدة سنوات بسبب حروبه في أذربيجان وغيرها من المناطق في إيران ، وأقام بهراة فترة حتى وصلته انباء حدوث فتن واضطرابات في العاصمة العثمانية ، حيث تم اغتيال السلطان عثمان الثاني عام ١٦٢٢م وأعيد تنصيب السلطان مصطفى الأول مرة أخرى[١٢٣] . كما وقعت اضطرابات أخرى في مدينة بغداد ، حيث أثار أحد القواد فيها ويدعى بكر صوباشي [١٢٤] على حاكمها العثماني يوسف باشا ، وقتله ، وسيطر على بغداد معلناً تحديه للحكومة المركزية في اسطنبول ، مما دفع السلطان العثماني لإرسال جيش عثماني بقيادة حافظ باشا حاكم ديار بكر لكي يتولى تأديبه والإطاحة به ، فسارع بكر صوباشي بمخاطبة الشاه عباس ، وحثه على الإسراع نحو بغداد لكي يسلمها له ويكون تابعاً لسلطاته [١٢٥] .

كان صوباشي أحد قادة الانكشارية وكان في إمرته ألف ومئتان من العزاب[١٢٦] وعندما قتل يوسف باشا والي بغداد ، خرج على رأس ثلة من أتباعه عام ١٦٢١ الى منطقة الفرات الأوسط بعد أن أناب ابنه محمد آغا بدلاً عنه في بغداد [١٢٧] .

شعر الشاه عباس بعد أن تسلم رسالة بكر صوباشي ، بأنها فرصة ثمينة لا يجب أن يضيعها من يديه ، وذلك لكي يعيد بغداد الى حكم الدولة الصفوية بعد أن سيطر عليها العثمانيون عام ٩٤٠هـ (١٥٣٤م) في زمان الشاه طهماسب الأول ولكي تصبح المزارات

الشيعية المقدسة في كربلاء والنجف تحت تصرفه ، ويكون الطريق مفتوحاً أمام شيعة إيران لزيارة هذه المزارات المقدسة [١٢٨] .

أسرع الشاه عباس بالعودة الى أصفهان حيث اجتهد في جمع أكبر عدد من الجنود وتقدم بهم صوب بغداد متذرعاً بالرغبة في زيارة العتبات الشيعية المقدسة ، ومخفياً الغرض الحقيقي من تقدمه ، وعندما وصل الى مشارف بغداد عسكر هناك ، وأرسل الى بكر صوباشي عدداً من رسله لكي يسلمهم مفاتيح بغداد وحملهم إليه هدية عبارة عن عمامة القزلباش ، على اعتبار أنه أصبح من رجاله المقربين ، ولكن حدث ما لم يكن يتوقعه الشاه عباس ، إذ أقدم بكر صوباشي على قتل رسل الشاه عباس ووطئ عمامة القزلباش بقدميه ، وذلك لأنه كان قد استعاد صلته بالدولة العثمانية قبل قدوم الشاه عباس ، وثبتوه على حكم بغداد [١٢٩] .

أمام هذا الغدر الذي تعرض له الرسل الصفويون ، أمر الشاه عباس بشن الهجوم على بغداد ، وتقدم جيشه وحاصرها ، فأمر بكر صوباشي بإطلاق مدافع قلعة بغداد عليهم ، كما راسل حافظ باشا والي ديار بكر ، ليطلب منه النجدة ، فأرسل حافظ باشا بعض قواته لمساعدته ، ولكن الجيش الصفوي استطاع قطع الطريق على هذه القوات ، ومنعها من الوصول الى بغداد ، مما جعل الأمور تسوء بالنسبة لبكر صوباشي ومن معه ، ولكنهم واصلوا الدفاع ولم يستسلموا ، مما دفع الشاه عباس الى اللجوء للمكر والخديعة لاحتلال المدينة ، كما يقول بعض المؤرخين [١٣٠] .

وتفصيل ذلك أن الشاه عباس استطاع أن يستميل اليه محمد بن بكر صوباشي ، وأتفق معه على التعاون المشترك فيما بينهما في الاستيلاء على بغداد مقابل أن يعينه الشاه عباس حاكماً عليها بعد اقصاء أبيه عن حكمها ، واتفقا على أن يفتح محمد بن بكر صوباشي أبواب القلعة بالليل ، ليندفع جنود القزلباش الى داخل القلعة ، ويستولوا عليها ، وقد تم تنفيذ هذه الخيانة في ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٠٣٢ هـ [١٣١] الموافق للحادي والعشرين من تشرين عام ١٦٢٣م [١٣٢] ، حيث فوجئ جنود الحامية بالجيش الصفوي يقف بينهم ، وقد باغتهم وقتل عدداً كبيراً منهم ، مما افقدهم اتزانهم . وخارت قواهم المعنوية ، وفترت قوتهم القتالية ، فتحقق النصر لجيش الشاه عباس . وتمكنوا من أسر بكر صوباشي واقتياده مكبلاً بالقيود صوب الشاه عباس الذي أغلظ القول معه ، وعنفه على غدره به وقتله رسله . ثم أمر بوضعه في قارب مليء بالزفت والكبريت وأن تضرم فيه النيران ، ليلتهب في دجلة أمام الناس [١٣٣] .

وكان محمد بن بكر صوباشي يتوقع أن يعهد إليه الشاه عباس بحكم بغداد ، ولكن الشاه عباس أمر بإرساله الى خراسان ، وأمر بقتله هناك [١٣٤] .

اهتمامات الشاه عباس الكبير ١٦٢٣ – ١٦٢٩ م : -

خرج الشاه عباس من بغداد لزيارة العتبات المقدسة والموجودة في كل من كربلاء والنجف والكوفة . بعد أن كان يتوق لذلك منذ توليه الحكم . ولكنه لم يتمكن من القيام بمثل تلك الزيارة لخضوع تلك المزارات تحت حكم الدولة العثمانية [١٣٥] ، وقد توجه نحو كربلاء المقدسة لزيارة مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) ثم سار على طريق الحلة الى النجف الأشرف [١٣٦] . ويقال أن الشاه ترجل حينما لاحت له قبة المرقد الشريف ، فترجل معه جميع وزرائه وأمراء عساكره ، ثم نزع التاج من على رأسه ، ومشى حافي القدمين نحو مرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يحمل تاجه بين يديه [١٣٧] .

بقي الشاه عباس في النجف عشرة أيام ، كان يقضي أغلب أوقاته في الزيارة والدعاء ، وفي أثناء ذلك أدرج أسمه في سجل هيئة خدم المرقد الشريف ، واختار وظيفة الكنس وإزالة الغبار عن المرقد المقدس [١٣٨] .

أثناء وجود الشاه عباس في النجف ، أمر بكري وتنظيف النهر الذي حفره جده الشاه إسماعيل الصفوي والذي عرف باسم ((نهر الشاه)) [١٣٩] . جرى الماء في ذلك النهر بعد انقطاع طويل حتى دخل مسجد الكوفة ، ولما كان موقع النجف أعلى من أرض الكوفة ، تم شق قناة تحت الأرض ، لإيصال المياه الى النجف ، وانضم عسكره الى العمال في الحفر حتى أوصلوا الماء الى مكان قريب من البلدة وبنى هناك بركة في سرداب تحت الأرض ينزل اليها الناس على سلالم ليستقوا منها [١٤٠] .

ومن الجدير بالملاحظة ، أن بقايا تلك البركة ظلت الى خمسينات القرن العشرين ، وكان يمكن مشاهدتها في سرداب يسمى "المهدران" تقع خارج سور النجف ، على يمين الذاهب الى الكوفة [١٤١] .

ومن المعروف أن الشاه عباس حفر آباراً خاصة ، في مواضع معينة من المدينة ، كان بعضها في الصحن الشريف ، وأوصل تلك الآبار عن طريق قناة حفرت تحت الأرض كانت تستمد مياهها من نهر الفرات ، ولذا تميزت مياه تلك الآبار عن بقية الآبار النجفية بحلاوة ونقاوة مياهها ، وكانت تعرف بالآبار ((الشاه عباسية)) [١٤٢] .

ومما يذكر أن ثوار النجف استعملوا ما تبقى من تلك القنوات التي كانت تمر تحت أرض النجف والى خارجها ، في قتالهم ضد القوات البريطانية أثناء ثورة النجف ، والتي حدثت قبيل ثورة العشرين بفترة وجيزة [١٤٣] .

أهتم الشاه عباس – بعد فتح بغداد – بالمراقد المقدسة في الكاظمية وسامراء وكربلاء والنجف ، وبذل فيها الأموال تعميراً وهدايا [١٤٤] ، وقد ركز جهوده العمرانية على النجف بوجه خاص ، فبنى فيها الأواوين والخانات لراحة الزوار [١٤٥] ، ولم تكن وضعية الصحن المحيط بمرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما نراها اليوم ، بل كانت حتى القرن السادس عشر للميلاد ، أصغر في مساحتها وشكلها . وحينما زار الشاه عباس النجف ، قرر توسيع وإعادة تعمير المرقد الشريف[١٤٦] .

وفي تلك الأيام كانت هناك ساحة مربعة الشكل أمام الرواق الحالي من جهة الشرق ، تسمى " حوش الحضرة " بطول عشرين متراً تقريباً ، وكان يحاذيها رواق قديم شيده عمران بن شاهين الخفاجي ، كان مفصولاً عن الرواق الحالي ، ويبعد عنه بضعة أمتار [١٤٧] .

وحينما قرر الشاه عباس توسيع الصحن من تلك الجهة ، تم هدم قسم من رواق عمران بن شاهين ، وإدخاله في الصحن ، وبذلك تم توسيع ساحة الصحن من جهة الشمال [١٤٨] .

ومن تعميراته أيضا ، أنه أمر في سنة ١٦٢٣ بعمل ضريح من فولاذ لقبر الإمام الكاظم (عليه السلام) لحفظ الصناديق من الخاتم [١٤٩] .

وإمعاناً في إعلان تبعيته لآل علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتمسكه بالذهب الشيعي لقب نفسه بـ (كلب عتبة علي) أو (كلب عتبة الولاية) . ونقش هذا اللقب على خاتمه لكي يستعمله في المراسلات الرسمية [١٥٠] .

أهتم الشاه عباس بالمذهب الشيعي الاثنى عشري وحاول ترسيخه في النفوس عن طريق خلق مؤسسة دينية قوية في إيران ، ولكن تفكيره بدأ يتحول الى نوع من الإقليمية حتى في مجال التعصب للمذهب الذي يعتنقه ، فقد كان يلمح في جعل مشهد وبها ضريح الإمام الرضا الإمام الثالث عشر للشيعة المزار الأول والأقدس للشيعة فكان يذهب اليه ماشياً من أصفهان حتى طوس مسافة تبلغ ٨٠٠ ميل بغية التبرك بزيارة المرقد الرضوي[١٥١] في سبيل الدعاية لتحقيق هدفه المذهبي الذي كانت ورائه دوافع اقتصادية وسياسية واضحة [١٥٢].

سعى الشاه عباس إضفاء مسحة دينية قوية على حكمه فقرب رجال الدين الشيعة في إيران والبلدان الإسلامية الأخرى فبرز في عهده عدد من العلماء والمفكرين الشيعة أشهرهم اثنان هما الشيخ محمد بن الشيخ حسين العاملي الملقب بـ (البهائي) وملا محمد باقر بن

محمد تقي الملقب بالمجلسي ، وقربهما الشاه عباس اليه ، وكان يهدف الى تعظيم رجال الدين والمراقد الشيعية للتأثير من الناحية المذهبية على عوام الناس وكسب تأييدهم لدولته ، وقد ترسخت جذور هذه العقيدة في أعماق روح العامة من الناس ووجدانهم فهي الدولة الوحيدة في تاريخ إيران دون غيرها، فامتدت جذور هذا المذهب بين الأكثرية الساحقة من الإيرانيين فنالت تأييدهم المطلق ، فلا غرابة أَن يغدو الشاه عباس على الرغم من رجعيته المطلقة بحسب المقاييس السياسية المعاصرة شخصية أسطورية في نظر الطبقة العامة من الشيعة . ولا يفوتنا ان ترسيخ هذه الشخصية الأسطورية ونسج هالة من القدسية حولها يرجع الى الدعاية المنظمة التي تبناها حكام الدولة الصفوية لتثبيت مركزهم الديني والدنيوي في نظر الإيرانيين ولأجل تحقيق هذا الهدف حول الشاه عباس جميع القنوات الدعائية في المجتمع الإيراني منصب في تجذير المذهب الشيعي في النفوس بوصفه حامياً وسنداً له وليجعل من هذا المذهب متكأ لتثبيت حكمه في الداخل وحائلاً أمام اعدائه العثمانيين الذين يعدون دولتهم امتداداً للخلافة الاسلامية [١٥٣] .

ولكن على الرغم من شدة تعصب الشاه عباس الصفوي المذهبي فقد حرص على التقليل من نفوذ رجال الدين وكف أيديهم عن التدخل في شؤون الدولة الصفوية والحربية والقضاء على تظاهر بعضهم[١٥٤] ، لدرجة أنه أعلن مراراً كراهيته للحية واتخاذها وسيلة للخداع والنفاق ولعله حرص على التصدي لنفوذ رجال الدين نتيجة للفوضى التي اجتاحت النواحي المذهبية خلال حكم أبيه السلطان محمد خدابنده ، حيث أهمل بعضهم الأهتمام بالأمور الدينية وحرصوا على التسلط والكسب المادي والتدخل في كل صغيرة وكبيرة في الدولة ، مستغلين في ذلك ضعف السلطان خدابنده ، وعدم قدرته على إيقافهم عند حد الأشراف على مسائل الدين ، وترك أمور الدولة للوزراء والقواد وغيرهم ممن يشغلون المناصب الإدارية ، وقد نجح الشاه عباس في كف أيدي الأئمة ورجال الدين عن التدخل فيما لا يعنيهم من أمور الدولة . اذ أن حرصه على الانفراد بالحكم لن يجعله يعطي لرجال الدين الفرصة للتدخل والحكم . كما لا يعقل أن يقضي على نفوذ رجال القزلباش ، ويترك لرجال الدين الفرصة لمناوأته أو حتى مشاركته الحكم .

وفي رأينا أن هذا ليس تناقضاً في الطرح العلمي الموضوعي ، اذ يمكن لمتتبع الأحداث التاريخية أن يلمس أن الشاه عباس قرَّب إليه رجال الدين ذوي المكانة والسمعة وأصحاب النظرية العلمية الدينية ليشد إليه أنظار العامة من الناس في تعظيمه وتكريمه لرجال الدين ، في حين نجح في الجانب الآخر من أبعادهم عن مراكز القرار السياسي والاقتصادي في إدارة الدولة .

توفي الشاه عباس الكبير سنة ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩ م بمرض الإسهال الدموي [١٥٥] ووصل الى عرش إيران الشاه صفي الذي حكم من سنة ١٠٣٨ – ١٠٥٢هـ ١٦٢٩-١٦٤٢م فقد كان عهده مثالاً للظلم الصارخ وانتهاك الحرمات فقد كان شاهاً ظالماً سفاكاً سكيراً ولا يبالي فيما يجري في البلاد . حكم إيران حكماً جائراً لم يأمن أحد على حياته في عهد حكمه البالغ أربعة عشر عاماً [١٥٦] .

وتذكر المصادر أنه في عهد الشاه صفي ، حدث غرق ببغداد والكاظمية في سنة ١٠٤٢هـ (١٦٣٣م) فتضعضعت جدران الحضرة الكاظمية المقدسة فأمر الشاه صفي بترميم ما اختل تعميره ، وأودع القيام بذلك الى (قزاق خان) أمير الأمراء السابق في شيروان[١٥٧]. وفي سنة ١٠٤٥هـ(١٦٣٦م) أجريت بأمر الشاه صفي ايضاً بعض الاصلاحات والترميمات في سلم المنارة وبعض التعميرات في المواطن الأخرى المختلة [١٥٨].

الاحتلال العثماني للعراق

في عهد السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٨ حتى سقوط الدولة الصفوية عـــام ١٧٢٥م:-

في الوقت الذي كان فيه الشاه عباس الصفوي يتأهب لفتح بغداد كان الانكشاريون في اسطنبول لاهين باستهتارهم وشغبهم وقد وصل بهم الحال الى درجة أنهم هجموا على السلطان عثمان الثاني وهو في قصره – بين زوجاته وجواريه – فأخرجوه مهاناً ثم قتلوه ، وحينئذٍ صارت الحكومة ألعوبة في أيديهم ينصبون الوزراء ويعزلونهم حسب اهوائهم ، وشرعوا يمنحون المناصب لمن يجزل لهم العطايا ، فكانت وظائف الدولة تباع جهراً [١٥٩] . وفي عام ١٦٢٣ – وقبل أيام معدودة من سقوط بغداد بيد الشاه عباس الصفوي – نصب الانكشاريون السلطان مراد الرابع على العرش وكان صبياً دون الثانية عشرة من عمره ظناً منهم أنه سوف يكون طوع أمرهم وألعوبة في أيديهم ، وقد خاب ظنهم في السلطان مراد الرابع ، فهو بدلاً من أن يكون ألعوبة في أيديهم تمكن من أن يجعلهم ألعوبة في يده . فقد كان السلطان مراد كأمثاله من الجبارين القدامى سفاكاً للدماء قاسياً الى أقصى حد ، ولم يكن يقل عن سلفه السلطان سليم ياوز في شدة البطش حتى صار أسمه يضرب به المثل في القسوة ، وقد اشتهر عنه أنه كان لا يأبه بحياة الآخرين وقيل في مدحه أنه ((لا يصفح عن جرم غير جرمه))[١٦٠] .

لم يكد السلطان مراد يتسلم زمام الحكم حت بدا يعد العدة لأسترجاع بغداد من أيدي الصفويين ، ثم وجه إليها قوات كبيرة مرتين أولاهما في عام ١٦٢٤ والأخرى في عام ١٦٣٠ ،

وقد حوصرت بغداد في كلتا المرتين وضيق عليها الخناق ولكن الجيش العثماني اضطر في كل مرة أن يرفع الحصار وأن يعود من حيث أتى[١٦١] .

ويبدو أن شغب الانكشاريين كان من العوامل الرئيسة في هذا الإخفاق الذي مُنيَ به الجيش العثماني ، وقد أدرك السلطان مراد أنه لا يستطيع أن يقوم بعمل عسكري جبار مالم يكسر شوكة الانكشاريين ويقضي على عناصر الشغب بين صفوفهم ، وقد تم له ما أراد في عام ١٦٣٢ حيث أمر بقتل كل من ثبت عليه أي ضلع في حوادث الشغب الأخيرة [١٦٢] .

وفي الوقت الذي كان فيه السلطان مراد مشغولاً بمحاولاته الفاشلة لاسترجاع بغداد كان الرأي العام السني شديد الامتعاض من استمرار بقاء بغداد في أيدي العجم [١٦٣]. ويحكى أن أحد الدراويش قصد اسطنبول من بغداد بغية مقابلة السلطان ولومه على تأخره في ((انقاذ)) بغداد ، وفي يوم جمعة دخل الدراويش المسجد الذي يصلي فيه السلطان ولم يكد يلمحه قادماً حتى صاح في وجهه وهو يرتعش من شدة التأثر قائلاً :- أنت تخفي نفسك بين حرسك وحريمك لاهياً بالأنس والطرب ... أما علمت أن الروافض هدموا قبر الشيخ عبد القادر ؟! وقيل أن السلطان تأثر كل التأثر من كلام هذا الدرويش وأقسم أغلض الأيمان أنه سينقذ بغداد من أيدي العجم ويعمر من جديد قبراً للشيخ عبد القادر يليق بمقامه[١٦٤] .

في ربيع سنة ١٦٣٥م خرج السلطان مراد على رأس أول حملة عسكرية له نحو الشرق ، وذلك للاستيلاء على بريفان [١٦٥] التي كانت من أملاك الصفويين . وبعد الاستيلاء عليها بعث برسولين الى اسطنبول أحدهما يحمل أمر السلطان لإقامة احتفالات كبيرة بتلك المناسبة ، والثاني يحمل أمراً بقتل أخويه الأمير با يزيد والأمير سليمان [١٦٦] .

بعد الاستيلاء على بريفان ، سار السلطان مراد نحو مدينة تبريز عاصمة الصفويين الأولى واستولى عليها في ١٠ أيلول (سبتمبر) سنة ١٦٣٥ م ، ثم عاد الى اسطنبول . ولكن المعارك استمرت بين العثمانيين والصفويين مدة من الزمن انتهت بانتصار الجيوش الصفوية في معركة مهربان سنة ١٦٣٦م، حيث تمكنوا من استرجاع مدينة بريفان من العثمانيين [١٦٧]

بعد أن تمكن الصفويون من استعادة تبريز واقليم بريفان أتجهت أنظار العسكرية العثمانية نحو بغداد . وفي ٩ آذار من سنة ١٦٧٨م ، أخرج السلطان مراد " الطوغ الهمايوني " وهو اللواء السلطاني ذو السبعة جواليش [١٦٨] ونصبه على مرتفعات أسكدار (أي الجانب الآسيوي من البوسفور) . كان ذلك تقليداً ، يعني أن السلطان عازم على الخروج على رأس حملة عسكرية كبرى . وفي هذه المرة كان الهدف الاستيلاء على بغداد [١٦٩] .

أصدر السلطان مراد ((الفرمان)) بالتأهب لفتح بغداد على أَن يكون هو على رأس جيوشه على منوال ما كان يفعله أسلافه العظام كسليم ياوز وسليمان القانوني . وعندما تحركت الجيوش من اسطنبول لبس السلطان زي العرب تشبهاً بأصحاب الرسول عندما كانوا يتأهبون للجهاد . وكان يحمل معه خمسة مدافع ضخمة : أثنان منها بمعيار عشرين أوقية من البارود ، وثلاثة بمعيار ثماني عشرة أوقية [١٧٠] .

في أثناء تلك الحملة العثمانية ، كان حاكم بغداد الصفوي ، الزعيم التركماني بكتاش خان ، وكان يشغل ذلك المنصب منذ سنة ١٦٣١م . ويقال أن الحامية الصوفية لم تكن تمتلك ما يلزمها من المدفعية . ولكن بالرغم من ذلك فإن دفاعات المدينة كانت قوية ، تعتمد بصورة أساسية على حملة البنادق الذين تم توزيعهم على الأبراج والمواقع الحساسة حول السور . ويقال أنهم كانوا على درجة عالية من التنظيم والتدريب [١٧١]. ومن المرجح أَن جنود وضباط بكتاش خان ، كانوا من أفراد عشيرته والعشائر التركمانية الموالية له ، وان تلك الوحدات التي وصفت بأنها جيدة التدريب كانت من الجماعات الموالية للعرش الصفوي ، ولذا اختارها الشاه لتكون الوحدات المدافعة عن بغداد [١٧٢] .

بعد وصول الجيوش العثمانية تم توزيعها حول أسوار بغداد ، وأقيم للسلطان معسكر في موضع يقابل القلعة في الجهة الشمالية من السور ، وفي الجهة الشمالية الشرقية أقيم معسكر آخر لأغا الانكشارية مع أمير أمراء عسكر " الروملي " . وأقيم معسكر ثالث أمام باب الطلسم على الطرف الجنوبي الشرقي من السور ، رابط فيه قائد المراكب البحرية والنهرية الملقب " قبطان باشا " ومعه قائدان من الانكشارية ، وباشا الاناضول ، وباشا سيواس . أما السلطان مراد فقد أمر ان تنصب خيمته الخاصة " الأطاغ " على شاطئ نهر دجلة قرب مرقد الإمام أبي حنيفة النعمان [١٧٣] . ويقال ان السلطان مراد لم يذهب لزيارة المرقد إذ قال ((أنني أخجل من زيارته قبل ان تفتح بغداد)) [١٧٤] . والمعروف عنه أنه كان يعمل بنفسه في أعمال الحصار الشاقة تنشيطاً للجنود ، ويوزع بيده الأسلحة المختلفة والأعتدة عليهم ، وكان يمر كل يوم بالمحاربين في المتاريس ويشجعهم قائلاً : ((أبذلوا جهودكم في سبيل الدين والغيرة الإسلامية ولا تقصدوا ، هذا يوم السعي وبذل ما في الوسع ...)) [١٧٥] . وكان يصلي في كل صباح ومساء ويتمرغ في الأرض " خاشعاً " والدموع تغمر عينيه[١٧٦] .

استمر الحصار أربعين يوماً أبدى فيه الفريقان من الاستمالة في القتال أمراً عجيباً . وفي ٢٢ كانون الاول ١٦٣٨ أحدثت المدافع العثمانية ثغرة في سور بغداد من الجهة الشرقية طولها

ثمانون ياردة ، فتقدم العثمانيون نحوها وأشتد القتال بينهم وبين الصفويين في تلك الثغرة طوال يومين كاملين ، دون أن تظهر أية علامة تدل على النصر ، بالرغم من كثرة الضحايا[١٧٧] .

أثار ذلك الوضع غضب السلطان مراد ، الذي وجه توبيخاً شديداً الى الصدر الأعظم طيار محمد باشا واصفاً إياه بالجبن . وفي اليوم الثالث ، تقدم الصدر الأعظم على رأس جنوده ، وسل سيفه واندفع في هجوم كاسح نحو الثغرة وسط هتافات ((الله ... الله)) ، وفي أثناء ذلك التقدم سقط طيار محمد باشا بعد أن أصيب بقذيفة مدفع . ولكن جنوده استمروا في الهجوم وتمكنوا من اجتياز تلك الثغرة وانكشفت بغداد أمامهم [١٧٨] .

بعد ذلك الأختراق لسور بغداد ، أرسل قائد الحامية الصوفية بكتاش خان يعلن استسلامه ، ثم جاء بنفسه الى السلطان مراد ليسلم المدينة ، فأقتيد بين صفين من الحرس الأشداء الى الخيمة السلطانية ، وحينما مثل أمام السلطان ، عفا عنه وأنعم عليه بالهدايا الثمينة . ويقال أن بكتاش خان بعث بعد صدور العفو الى ضباطه وقادة الوحدات يطلب منهم ترك مواقعهم الدفاعية والخروج من بغداد ، والتوجه الى حيثما شاءوا . وفي نفس الوقت ناشد القيادة العثمانية أن تتوخى الحذر من وجود بعض الألغام التي لم تزل مدفونة خشية انفجارها [١٧٩].

مع اقتراب الجيوش العثمانية وحتى قبل سقوط بغداد ، لمس السكان ما كان يبيته لهم السلطان مراد الرابع الذي قال عنه الكاتب التركي أوليا جيلي : إنه فاق جميع سلاطين آل عثمان في تعطشه للدماء ... ، إذ جاء السلطان مراد الى بغداد وهو يحمل رؤيا سياسية عسكرية تستهدف إلحاق هذه البلاد الغنية بمواردها وبصورة دائمة ، بالإمبراطورية العثمانية ، ومن أقدار العراق أن يأخذ سلطان دموي ، كمراد الرابع على عاتقه تحقيق تلك الأهداف العثمانية [١٨٠] .

فقد باشر العسكر العثماني عمليات إبادة جماعية ، شملت المدنيين من زوار العتبات المقدسة من رعايا الدولة الصفوية بحجة أنهم من " القزلباش " ، وكأنهم أرادوا بتلك المذابح استئصال كل ما يمت بصله بالصفويين ، وذلك لأبعاد شبح الماضي بتجاربه المريرة التي انتهت بخروج العراق من قبضة المؤسسة العسكرية العثمانية . كتب عباس العزاوي نقلاً عن تاريخ نعيما يصف لنا جانباً من تلك المذابح فقال :-

((أن الدولة أرادت ان تقطع دابر القزلباشية إذ علمت أن قد جاء أكثر من ثلاثمائة منهم من النجف الى الكاظمية فأمر بقتلهم وذلك قبل الفتح وإعطاء الأمان ، وكذا قتل نحو ألف ، ثم قتل نحو أربعمائة ... وقيل الواردون (كذا) من القزلباشية من النجف ايضاً ، لما علم من

جاسوس منهم أُلقي القبض عليه ، جاء وكان حاملاً كتاباً فيه أنه إذا استولى العثمانيون على بغداد فأخبرونا ، لنترك أوطاننا ونذهب الى ديار العجم ... وبهذه التهمة قتلو ..)) [١٨١] .

هذا ما حدث قبل سقوط بغداد ، أما ما حدث بعد ذلك ، فإن جميع المصادر تؤكد على أنه كان أشد وأدهى . فبعد إعلان بكتاش خان استسلامه الحامية الصفوية وصدور عفو السلطان ، تنفس سكان بغداد الصعداء وحسبوا أن راية السلام سترفرف على مدينة السلام ، ولكن أمراً ما حدث على حين غرة قلب تلك الصورة . وقد أشار علي الوردي الى ذلك فقال :-

... ولكن حادثاً حدث لا يعرف كنهه على وجه الدقة حول بغداد فجأة من طور التفاؤل الى نقيضه ، وشهدت بغداد إذاك مذبحة لا تقل في بشاعتها عن أفظع مذابح التاريخ [١٨٢] .

اما "لونكريك" فقد ذكر أَن مير فتاح وهو أحد القادة الصفويين ، رفض هو وضباطه الإذعان والجلاء ولذا فإن اطلاق النار لم يخمد . ثم يشير الى أن الفوضى سادت حينما تقاطرت جماعات أخرى من الصفويين واندفعت زرافات الى خارج السور ، في الوقت الذي كان البعض يطلق النار على غير هدى ، وهذا بعث على مقابلة الشر بالشر ، ولذلك لم تمنع كل الجهود الانتشار السريع لعمليات القتل والنهب ، وقد أزهقت في معارك الشوارع أرواح عديدة ، لكبار الضباط على مرأى من الصدر الأعظم . وقال :-

... وكان غير قليل من جنود العثمانيين يلتهبون بالانتقام ، هذا لأخ وذاك لأبن مفقود ... ونصبت المدافع التي كانت تصب حممها من الأبراج ، حتى ذبح عشرون ألفا من الحامية . وفي الأخير هدأت المدينة وهي مضرجة بالدماء ومخضبة بها ... [١٨٣] .

لذا اختلف المؤرخون في تعيين سبب المذبحة هذه ، فالأتراك يعزونه الى إخلال الحامية الإيرانية بشروط الاستسلام ، والإيرانيون يعزونه الى روح الانتقام العنيف الذي سيطر على الجنود العثمانيين عند دخولهم بغداد ، ومهما كان السبب فقد انثال العثمانيون على أفراد الحامية الصفوية فأمعنوا فيها ذبحاً وتقتيلاً بحيث لم يسلم منها سوى ثلاثمائة جندي مع العلم أنها كانت تبلغ عند الاستسلام زهاء عشرين ألفاً [١٨٤] .

ويعزو مؤرخون آخرون ، وهذا ما نراه نحن أَيضاً ، بسبب هذه المجزرة البشرية الى اختلال النظام بين الفريقين وكانت عوامل العنف والفوضوية كثيرة مثل اشتداد وطيس الحرب والكراهية التقليدية والمذهبية الشديدة بين الفريقين [١٨٥] وحب النهب وضيق الطرق في بغداد ونفسية الجماهير وموقفها من إراقة الدماء على الرغم من تفسير بعض المؤرخين أن استمرار مير فتاح القائد الصفوي على المقاومة في غير محلها كانت من العوامل المهمة لحدوث هذه المجزرة المروعة [١٨٦] .

والغريب في الأمر أنه لم تكد تمر سوى بضعة أيام على ذلك الهدوء ، الذي بدأت فيه بغداد تستعيد حيويتها ، حتى حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد انفجر مخزن للبارود ، دمر مساحات واسعة وتسبب في قتل أعداد كبيرة من الناس والجنود . ويقال أن ذلك الانفجار قتل ثمانمائة من الانكشارية ، مما أثار غضب السلطان مراد فأمر بالذبح العام انتقاماً ، وحسب المصادر العثمانية ، فإن عدد القتلى في المذبحة الثانية بلغ أكثر من ثلاثين الفاً . مما يعزز ما أشارت إليه مصادر أخرى ، ذكرت أن عمليات القتل لم تقتصر في تلك المذبحة على المقاتلين الصفويين ، بل شملت في هذه المرة سكان بغداد – وربما قصد الشيعة منهم – وهذا ما أكده المؤرخ البريطاني إدوارد كريسي [١٨٧] .

أما الكاتب لونكريك ، فقد أضاف بأن السلطان مراد أمر بذبح جميع الإيرانيين أَينما وجدوا ، وقال أن الكثير منهم كان قد التجأ الى المعسكر العثماني فقتل الجميع . وكان من بين من قتل ثلاثمائة زائر قادمين من النجف ، عبروا في تلك الأيام لزيارة الإمامين الكاظمين (عليهما السلام) [١٨٨] . وجيء بألف من الأسرى بين يدي السلطان فأمر بقطع رؤوسهم أمامه . وقال أنه لن يترك أي إيراني حياً لا في المعسكر ولا في حواليه ولا في المدينة نفسها . وبالنظر لكثرة أعداد المقتولين ، فإن لونكريك افترض أن المذابح تلك شملت العرب من سكان بغداد ، وأضاف ان العديد من رؤوساء المدينة وأعيانها المشكوك في ولائهم للعثمانيين ، قد شملتهم تلك المذبحة . واختتم كلامه بقوله : ((وبهذا روت هذه المذبحة الأخيرة عطش السلطان الفاتح للدماء)) [١٨٩].

إن المعلومات التي أوردها أولئك الكتاب تلقي الضوء على أمور عديدة ، نستشف منها أن تلك المذبحة لم تقتصر على رجال الحامية الصفوية ، بل شملت عوائلهم وأفراد عشائرهم المتواجدين في مدينة بغداد ، ونحن نعلم أَن ولاة بغداد في العهد الصفوي كانوا من أمراء التركمان الأذريين ، وكان من المعتاد في تلك الأيام أن يكون إعتماد أمثال أولئك الأمراء في حروبهم على أفراد عشائرهم ، أي كانت تنتقل معهم للاستقرار في مناطق حكمهم . وغني عن القول أن المقاتلين الصفويين في بغداد ، كانوا من رجال القبائل التركمانية وعشائر (اللر) الموالين للدولة الصفوية ، ولم يكونوا من الفرس "العجم" كما يدعي العثمانيون . وإن المعلومات التاريخية تؤكد أن الدولة الصفوية لم تستخدم الفرس في قواتها المسلحة ، وإن الصفويين اعتمدوا في ثورتهم التي قامت في أذربيجان على رجال القبائل التركمانية الذين انخرطوا في فرق "القزلباش" . وحتى بعد أن نكل الشاه عباس بأمراء القزلباش ، فإنه أبدلهم برجال قبائل تركمانية أخرى ، أستقدمهم من مناطق الأناضول ، والذين عرفوا " شاهي سيون" . وعلى سبيل

المقارنة فإن الصفويين اتبعوا سياسة الحكام السلاجقة ، الذين اعتمدوا في حروبهم على المقاتلين الترك ، وليس على المماليك أمثال الانكشارية ، أما بالنسبة للضحايا من السكان العرب ، فإن المصادر تشير الى أن عملية ذبحهم لم تكن عفوية . إذ أشار الباحث لونكريك الى تلك المسألة ، فيما قال بأن تلك المذابح شملت عدداً من رؤساء بغداد المشكوك في ولائهم للعثمانيين .

بعد الاستيلاء على بغداد ذهب السلطان مراد لزيارة مرقد أبي حنيفة في الأعظمية وقال : ((الآن حقت الزيارة)) [١٩٠] ، فقرأ الختم الشريف وتُليت الأدعية وذبحت القرابين وبذلت الصدقات . ونظم القاضي تاج الدين المالكي أبياتاً من الشعر يؤرخ فيها الفتح جاء فيها :-

خليفة الله مراد غـــزا قلعة بغداد فارداهـــا

فلنشرحن فعل مراد بها مؤرخاً قد ذبح الشاها [١٩١]

وفي اليوم نفسه بوشر بتشييد باب القلعة[١٩٢] .

وبعد الاستيلاء على بغداد أيضاً عين السلطان ، أغا الانكشارية كوجك حسين باشا لمنصب الولاية ، وهو إنكشاري ألباني الأصل من " الأرناؤط" . أشتهر بالشجاعة والعدل . وجرى تعيين مصطفى أفندي التذكرجي قاضياً لبغداد وذلك لأن العثمانيين قتلوا قاضي بغداد السابق [١٩٣] .

وفي ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٦٣٩م أي بعد مرور حوالي ثلاثة أسابيع على سقوط بغداد بيد العثمانيين تقرر عودة السلطان مراد الرابع الى اسطنبول . وقبل رحيله تقدم لزيارة الإمام الاعظم . وأمر بتعمير مرقدي الإمام ابي حنيفة ، والشيخ عبد القادر الكيلاني ، وذلك بنظارة شيخ الإسلام يحيى أفندي . ثم عبر السلطان مع حاشيته الى جانب الكرخ ومضى ركبه الى الكاظمية لزيارة مرقد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) [١٩٤].

وتذكر المصادر إن السلطان مراد ترك بغداد في السابع عشر من شباط عام ١٦٣٩م متوجهاً الى تبريز وتمكن من فتحها ولكن البرد القارس وقلة المؤن أثارت العساكر العثمانية وركنوا الى العصيان والفتنة وهو ما دفع السلطان مراد الى سحب جيوشه من إيران [١٩٥] .

وفي ٢٠ شباط (فبراير) أُنجز تعمير القلعة وقد وضع عند بابها المدفع الشهير ((طوب ابو خزامة)) [١٩٦] .

بعد مغادرة السلطان مراد ظل في بغداد الصدر الأعظم قره مصطفى ، الذي باشر في تأسيس الإدارة العثمانية الجديدة . وفي ١٠ ذي العقدة (١٦آذار) أي بعد مرور شهرين ، عاد الصدر الأعظم الى اسطنبول وترك في بغداد قوات عسكرية كبيرة قوامها :-

١-٨٠٠٠ من العسكر الانكشاري بمعداتهم ومدافعهم بما في ذلك المدفع الكبير الذي سماه البغداديون ((طوب أبو خزامة)) .

٢- ١٢٠٠٠ عسكري من مختلف الأصناف بما في ذلك عدد من وحدات الانكشارية وقد سمي ذلك الجيش ((قول بغداد)) أي جيش بغداد .

٣-١٠٠٠ من فرسان السباه [١٩٧] .

يبدو أن الصدر الأعظم "قره مصطفى" ، كان يرى ان كوجك حسين باشا المشهور باعتداله وكياسته لا يصلح لوضع أسس الحكم العثماني الجديد في العراق . ولذا أمر في ٢ محرم سنة ١٠٤٩هـ / ٥ آيار(مايو) سنة ١٦٣٩م بنقله ، وعهد بولاية بغداد الى درويش محمد باشا الذي كان يرى فيه الشخصية القاسية الملائمة لفرض أهداف الحكم الجديد . ودرويش باشا انكشاري شركسي الأصل ، تولى في الشام سنة ١٠٤٥هـ ، وقيل عن حكمه في الشام : ... كان ظالماً جباراً فتك بأهلها وتجاوز في ظلمه الحد ... [١٩٨] .

غير أن أعمال وجرائم درويش محمد باشا بعد توليه منصبه في ولاية بغداد وتجاوز كل ما نسب إليه من جرائم في السابق . إذ انهمك في أعمال القتل والسلب وأغتصاب أموال الناس . قال المؤرخ البريطاني لونكريك عن هذا الوالي :-

وكان هذا الرجل عجيباً في طوله وقامته ، كما كان شارباه العظيمين متدليين الى ما يقارب المخرم . وكان إشباعه لرغبته في الترف بإختلاس الأموال أقل من إشباعه لها بالمضاربة في بيع الحبوب والحيوانات بمقياس واسع ، وكان منصبه كحاكم يساعده في الحصول على أرباح هائلة بهذه الطريقة [١٩٩] .

لقد كان السيد دراج يتولى في تلك الأيام منصبي نقابة الاشراف في بغداد ، وسدانة حضرة الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) في كربلاء المقدسة . وقد نال حظوة كبيرة لدى الشاه عباس بعد استيلائه على بغداد سنة ١٦٢٣م ، ولكن بعد استيلاء السلطان مراد الرابع على العراق ، قدر لهذا السيد الجليل أن يكون من أول ضحايا العهد العثماني الجديد .

فقد دشن الوالي درويش محمد باشا سياسته العدوانية ضد أهل العراق بقتل نقيب الأشراف وسادن مقام الإمام الحسين بن علي في كربلاء المقدسة السيد دراج ، ونهب أمواله .

والسيد دراج هو الذي توسط لدى الشاه عباس ، وأنقذ من الموت خلقاً كثيراً من علماء أهل السنة وغيرهم . قال العزاوي عن مقتل نقيب الأشراف وسادن الإمام الحسين (عليه السلام) السيد دراج :-

وهذا العمل المشكور كله لم يمنع الوالي من الوقيعة به ، بعلة أنه كان شيعياً معروفاً بتشيعه ، فلم يتحمل شهرته ومكانته فأتخذ ذلك وسيلة للقضاء عليه واستولى على أمواله الوافرة ... ولم تردعه هذه الخدمة النبيلة ولا المكانة المقبولة . أراد هذا الوالي أن يستقل بنفوذ العراق وحده وأن تكون بغداد والأنحاء العراقية خالصة للدولة العثمانية [٢٠٠] .

كان مقتل نقيب السادات وسادن حضرة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) السيد دراج ، جزءاً من حملة عثمانية استهدفت التنكيل بشعب العراق وفرض الهيمنة العسكرية المطلقة عليه ، وعلى هذا الأساس شن الوالي الانكشاري درويش محمد باشا حملته العسكرية ضد سلطة قبيلة خزاعة "الخزاعل" . وكان الخزاعل ينتشرون في تلك الأيام على ضفاف الفرع الشرقي لنهر الفرات شمال السماوة [٢٠١] .

قال عنهم إبراهيم فصيح الحيدري :-

من العشائر العظيمة في العراق المترافضة الخزاعل ، قد ترفضوا منذ أكثر من مائة وخمسين سنة (كذا)، وهي عشيرة عظيمة من بني خزاعة عرفت وسميت خزاعل . وهم من بني عمرو بن ربيعة من القحطانية .... كانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما ، وكانوا حلفاء لقريش [٢٠٢] .

يقول الخزاعل أنهم من بقايا خزاعل العراق ، منهم عمرو بن الحمق الذي صحب رسول الله (ص) وشهد مع علي بن أبي طالب جميع حروبه . قال عنهم رسول الله بعد أن علم أن قريش غدرت برجل مسلم من خزاعة :-

((لا نصرني الله إن لم أُنصر خزاعة)) [٢٠٣] . ومنهم كذلك سليمان بن صرد ، قائد حركة التوابين الذين انتفضوا في الكوفة بُعيد وقعة كربلاء ، ونكلوا بقتله الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) [٢٠٤].

كان الخزاعل في أول أمرهم يتنقلون غرب الفرات . وقد جاء ذكرهم في عشائر البسام الذي قال عنهم :-

... نازلون غربي السماوة ، والقول فيهم إنهم السحاب إذا انهالت ، والأسود إذا صالت ، كرامهم شجعان وشجعانهم أكرم من كان ... وهناك صوص تشير الى وجودهم في بادية السماوة من القرن الثامن الهجري ، أي القرن الرابع عشر الميلادي [٢٠٥] .

حاول شاه صفي استرداد العراق من العثمانيين وأسفرت الحملة على العراق عن انعقاد صلح واقرار معاهدة بين الطرفين والمعروفة بمعاهدة زهاب في الرابع عشر من محرم سنة ١٠٤٩ للهجرة في ١٧ مايس ١٦٣٩ تقضي ببقاء العراق ولاية عثمانية وبقاء ايروان في أرمينيا ضمن البلاد الإيرانية [٢٠٦] .

وقد قُدر لهذا الصلح أن يدوم طويلاً إذ استمر على ما ينوف على التسعين عاماً من دون أن يعكره أي قتال او نزاع جدي بين الدولتين الصفوية والعثمانية [٢٠٧] .

وفي عام ١٦٧٤ ظهرت إشاعات في بغداد تشير الى أن الدولة الصفوية عازمة على غزو العراق ، فأنتشرت الأراجيف بين الناس من جراء ذلك وأصيبت الأسواق بالركود وقلت حركة القوافل ، ثم تبين أخيرا أن تلك الإشاعات لا صحة لها فعادت الطمأنينة الى الناس[٢٠٨].

ويعزى سبب هذا الصلح الطويل الى أن الدولة الصفوية كانت في حينها تعاني من الانحطاط والوهن ولم يكن في مقدورها أن تحارب أو تنتصر في الحرب ، فالشاه صفي الذي تسنم العرش بعد وفاة جده الشاه عباس الكبير عام ١٦٢٩، كان سكيراً منغمساً في الملذات لا يبالي بما يجري في البلاد [٢٠٩] ، وقد توفي في كاشان عام ١٦٤٢م ودُفن في مدينة قم المقدسة ، وكذلك كان أبنه الشاه عباس الثاني (١٦٤٢ – ١٦٦٦م) ، وحفيده الشاه سليمان . والمعروف عن الشاه سليمان الذي تولى الحكم من عام ١٦٦٦م الى عام ١٦٩٤ أنه ترك أمور الدولة بأيدي مساعديه والملا محمد باقر المجلسي يتنافسون عليها وانغمس هو في الخمرة والفساد ، ولما قيل له أن العثمانيين قد يهاجمون بلاده أجابهم بمثل جواب المستعصم العباسي : أنه لا يكترث لهجومهم على شرط أن يتركوا له أصفهان ، وعندما أرسلت اليه بعض الدول الأوربية سفرائها ليحرضوه على استعادة بغداد ، أثناء انشغال الدولة العثمانية في حروبها الأوربية أجابهم أنه يجب أن يحافظ على المعاهدة المعقودة بينه وبين السلطان العثماني وأن يعيش معه في سلام [٢١٠] .

ويجب أن لا ننسى في هذا الصدد أن الدولة العثمانية كانت هي أيضاً تعاني في تلك الفترة من الانحطاط والوهن ، وقد وصف ساطع الحصري أحد مظاهر انحطاطها وهو كثرة رجال الدين فيها وشدة سيطرتهم على شؤونها ، فقال : أنهم كانوا على فئات شتى منهم القضاة والمفتون والأئمة والخطباء والسادة والمشايخ والمدرسون والطلبة والدراويش وغيرهم [٢١١] .

ارتقى شاه سلطان حسين العرش الصفوي عام ١٦٩٤م ، كان رجلاً جباناً ضعيف الإرادة مؤمناً بالخرافات والأساطير [٢١٢] ترعرع مثل والده في الحريم ولم يكن يعلم في عهده عن

السياسة وإرادة الحكم شيئاً[٢١٣] ترك شؤون الدولة بأيدي رجال الدين وعلى رأسهم باقر المجلسي الذي تركزت في يديه جميع الشؤون الدينية والدنيوية [٢١٤] .

تغلغل مير محمد الأفغاني بجيوشه في إيران وفي عام ١٧٢٢م فتح العاصمة اصفهان بعد حصار شديد وأسر الشاه حسين آخر ملوك الدولة الصفوية .

وفي عام ١٧٢٥م قرر مير محمود قتل جميع أفراد الأسرة الصفوية باستثناء الشاه ، فصفوا بأمره في ساحة القصر وقد ربطت أيديهم الى ظهورهم ، وكان بينهم طفلان من أولاد الشاه [٢١٥] .

وهكذا إذا أردنا أَن نضع تقويم بسيط للأسرة الصفوية فإننا نجد أنها بدأت على يد شخصية نشطة هي الشاه إسماعيل الأول وبلغت الذروة في عهد الشاه عباس الكبير ، وبعد ذلك أخذت تنهار تدريجياً حتى سقطت عام ١٧٢٢ على يد الأفغان .

الخاتمـــــة :-

إن العداء المحتدم بين سلاطين آل عثمان وشاهات إيران الصفويين يرجع وكما رأينا الى زمن سحيق من التاريخ ، الى بدايات الظهور الأول لهاتين العائلتين الحاكمتين ، إذ إن سكان الثغور على الحدود البعيدين عن المراكز الدينية والحضرية ، تأثروا بين القرن الثالث عشر والخامس عشر بالدراويش سواء المعتدلون منهم مثل المولوية ، أو ما يسمون بأهل لبدع (القلندري او الحروفي) . وأن هذه العناصر من أهل البدع الكثيرة العدد في القرون الأولى من قيام الامبراطورية العثمانية ، اعتبروا أنفسهم بمثابة ضحايا السلطة المركزية التي سلطت عليهم ضغوطاً كثيرة خاصة المتعلقة بالضرائب التي لم يكونوا ليعرفونها من قبل وفي أواسط القرن الخامس عشر زادت في غضبهم مصادرة أراضيهم من قبل محمد الثاني سواء منها التي على ملكهم أو التي كانت في صور أحباس . ولم تتغير الأمور بعد ذلك بقرن ، ولم تتجه أعناق هؤلاء المسلمين الى تيمور او خلفائه ، بل نحو سلطة الصفويين وهم شيوخ أردبيل من الشيعة الإمامية الذين لم يلبثوا حتى سيطروا على مدى أكثر من قرنين على بلاد العجم (فارس) .

كانت السلطة العثمانية تعتبر نفسها حامية حمى المذهب السني في العالم الاسلامي في حين ظهرت الدولة الصفوية معلنة نفسها المدافعة عن المذهب الشيعي ، المتصدية لكل مخالفيه ، وقد أدى هذا الأختلاف المذهبي بين العثمانيين والصفويين الى حدوث نزاع مسلح متواصل بين هاتين القوتين ، وكان العراق مسرحاً خصباً لهذا النزاع بين الطرفين .

في خضم هذا الصراع الطويل والمرير تبادلت الدولتان الصفوية والعثمانية أدوار السيطرة على العراق في فترات متفاوتة ومتعددة إذ حيثما تغلبت إحدى القوتين على الأخرى كان دخولها للعراق على حساب الأخرى ، وقد أولى الشاهات الصفويين والسلاطين العثمانيين رعاية واهتمام للمقامات والأضرحة المقدسة في العراق وحاولوا أن يظهروا للعامة مدى تأثرهم بتراث أصحاب هذه المقامات والمراقد المقدسة وأماكن تواجدها ، ورغم اختلاف المنهج والعقيدة بين الطرفين فإن ما يهمنا في هذا الصدد عرض علمي دقيق غير متحيز لمنجزات واهتمامات هؤلاء للأضرحة المقدسة في العراق ورعاية المدن التي احتوت رفاة هذه الأجساد الطاهرة في الأعظمية والكاظمية والكوفة والنجف وكربلاء وسامراء وغيرها من مدن العراق لنضع بين أيدي الباحثين عرضاً مبسطاً لمراحل تطور هذه المنارات الشاهقة ومدن العراق المقدسة التي لازالت تنير درب البشرية جمعاء بآثار هؤلاء العظماء أئمة المسلمين النجباء .

إن إظهار هؤلاء السلاطين والشاهات احترامهم واهتمامهم بقبور أئمة المسلمين ومزاراتهم المقدسة كان له أثر بالغ في قبولية الناس بسيطرتهم وجيوشهم الجرارة على مدنهم وكانت في

أحيان كثيرة تشكل أسباباً غير مباشرة بدخول هذه القوات الأجنبية للعراق من أجل تحريرها بحسب ادعاء هؤلاء من سيطرة الطرف الآخر وقد يصاحب هذه الغزوات في كثير من الأحيان عمليات بطش بالسكان بحجة الأختلاف المذهبي والعقائدي .

إضافة الى هذا الاهتمام بالمزارات والمراقد المقدسة لعموم المسلمين بالعراق كان هناك نهج آخرٌ تمثل برعاية رجال الدين المحترمين المتصدين لخدمة المجتمع والناس من ذوي الوجاهة والوقار الاجتماعي والذين يشكلون النظام الإداري للمجتمع العراقي ، كذلك رعاية واحترام سدنة وخدام هذه المراقد والمزارات المقدسة وتنظيم أمور إدارتها والغدق عليهم بالهبات والعطايا والهدايا الثمينة والفاخرة .

لقد لعب العامل الأقتصادي أيضاً جزءاً مهماً من جوانب أسباب هكذا مواقف، و ذلك لإن هذه المدن تتمتع بمدخولات كبيرة تتأتى من الحركات والانشطة التجارية والضريبية التي ترفدها هذه المدن على الزائرين والوافدين وكل ذلك يسهم في زيادة العائدات للدول المنتصرة في السيطرة عليها ولعل ابلغ القول على ذلك عندما رجحت كفة الصفويين وحتى السنوات الأولى من حكم الشاه عباس الأول (١٥٨٨-١٦٢٩م) وبعد أن تمكن من التخلص من الخطر الاوزبكي في الشرق ، وأعاد تنظيم جيوشه وتسليحها بأسلحة نارية ، دخل في عراك مع العثمانيين واستطاع الانتصار في النهاية وطردهم من الأراضي الإيرانية التي احتلوها أيام حكم أبيه السلطان محمد خابنده، واستطاع الاستيلاء على بغداد والمزارات المقدسة في العراق ، ظهر العامل الاقتصادي جلياً عندما حاول إقناع الإيرانيين بالتخلي عن الذهاب الى مكة لأداء فريضة الحج ، والاكتفاء بزيارة قبر الإمام الثامن علي بن موسى الرضا(عليه السلام) .

وقد تختلف الصورة في أحيان أخرى فنجد ان بعض هؤلاء المحتلين وان لم يكونوا قد تعرضوا الى المزارات والقبور او الأماكن المقدسة بالإيذاء فإنهم قد أساءوا الى ساكني هذه المناطق وفتكوا بأهلها انتقاماً عقائدياً غير مبرر كما فعل السلطان العثماني مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) بأهل العراق من إراقة دماء بريئة لا حول لها سوى أنها دماء هذه البلاد المقدسة .

الهوامـــــش: -

١-د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، دار الراشد ، بيروت – لبنان ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م ، ص٤٥.

٢-كان الشيعة ولا زالوا يبشرون ضمن معتقداتهم الاساسية بحتمية ظهور الامام محمد المهدي بن الحسن العسكري (عليهما السلام) ليقود ثورة اجتماعية لأحلال سلطة العدل بعد أن ساد الجور والظلم في العالم ويذكر احمد كسروي : إن فكرة المهدي المنتظر قديمة ، ففي العهد الاموي اطلق الكيسانية على محمد الحنفية بن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) اسم المهدي المنتظر .

د. حسن كريم الجاف ، الوجيز في تاريخ ايران ، الجزء الثالث ، منشورات بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص١٣.

٣-يعتقد أَكثر المؤرخين بأنه حتى بداية القرن التاسع الهجري كانت أَكثرية الشعوب الايرانية على مذهب السنة والجماعة بصورة رسمية وكان أَكثرية سكان المدن الايرانية يعتنقون هذا المذهب وكان أهالي غرب إيران شافعيي المذهب وأن سكنة اصفهان وقزوين وآهر وزنجان ومزدكان وشيراز وكليايكان ويزد وتبريز واردبيل ومشكين وآثر ونخجوان على مذهب السنة وبحسب ما يذكره المستوفي القزويني بأن المذهب الرسمي للبلاد الايرانية كان مذهب السنة والجماعة باستثناء امارتي مازندران وكيلان اللتان كانتا على مذهب الشيعة الامامية ، ينظر:

د. حسن كريم الجاف ، الانتفاضات الشعبية في أواخر حكم المغول ((الانتفاضة السربدارية)) ، بحث منشور في مجلة الاستاذ ، تصدر عن كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ، العدد الخامس عشر ، الجزء الاول ، ١٩٩٩ ، ص٢٣٢.

٤- عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، شباط ٢٠٠٩ ، ص٢٣٥.

٥- ولد الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية في سنة ١٤٨٥م وهو أصغر أولاد الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد الصفوي ، وأمه حليمة بيكم بنت السلطان حسن الطويل (أوزون حسن) مؤسس دولة الآق قونيلو التركمانية ، عاش إسماعيل بن الشيخ حيدر طفولته وصباه ، في عصر مضطرب مفعم بالصراعات الدموية التي أدت الى سقوط امبراطورية الآق قوينلو.

عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الجزء الثاني ،الطبعة الاولى ،شركة الميناء للطباعة المحدودة بغداد،٢٠٠٥م، ص٤١ .

٦- كون الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ صدرالدين بن الشيخ صفي الدين جماعة مقاتلة من اتباعه المخلصين ألبسهم كسوة خاصة وعمائم حمراء متميزة ، يقال انها كانت تحوي اثني عشر لفة تيمناً بالائمة الشيعة الاثني عشر. ولذا أطلق الناس عليهم اسم "قزلباش" وتعني بالتركية اصحاب الرؤوس الحمراء، أو العمائم الحمراء .منذ ذلك الحين أصبحت تلك العمائم الحمراء رمزاً للمقاتلين التركمان الشيعة من اتباع الطريقة الصفوية .

عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، الجزء الاول ،ص ٢٣٧-٢٣٨.

٧- عبد الامير الرفيعي ،المصدر نفسه ، ص٢٤٠ .

٨- المصدر نفسه ، ص٢٤٠.

٩- المصدر نفسه ، ص٢٤٠ .

١٠- كان بعض الباحثين في القرن التاسع عشر يرون أن التشيع ذو منشأ فارسي . وقد اتضح خطأ هذا الراي ، فالفرس كانوا في الغالب من اهل السنة والجماعة ، وقد ظلوا على ذلك حتى القرن العاشر الهجري ، ونبغ من بينهم اكثر علماء السنة ، وهم لم يتشيعوا الا قسراً على يد الدولة الصفوية كما يتضح من خلال البحث ، أن التشيع نشأ بين القبائل العربية التي كانت تسكن الكوفة ، ثم أخذ ينتشر تدريجياً بين أهل العراق ، أي بين الموالي الذين يسكنون المنطقة الرسوبية في العراق . وقد كان التشيع في بداية أمره لا يختلف عن غيره من المذاهب الاسلامية الا في اتجاهه السياسي ، إذ كان مذهباً ثورياً يؤيد العلويين في ثورتهم على الدولة الاموية . وعندما ظهرت الدولة العباسية ، وقضت على الدولة الاموية ، اعتبر ذلك في حينه انتصاراً للتشيع ، فالعباسيون كانوا في العهد الاموي من الشيعة وكانوا يشاركون أبناء عمهم العلويين في الثورة على الامويين . وقد صف ابن خلدون الدولة العباسية بكونها دولة شيعية . ولكن تشيع الدولة العباسية لم يستمر طويلاً ، فلما نشب النزاع العنيف بين العباسيين والعلويين انقسم الشيعة في العراق الى فرقتين ، احداهما إلتزمت جانب العباسيين وهي التي أطلق عليها اسم ((أهل السنة والجماعة)) ، والثانية التزمت جانب العلويين وهي التي ظلت متمسكة باسم ((الشيعة)) . ينظر:-

ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الاول ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣م ، ص٢١٢.

د. علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، دار الحياة للنشر والتوزيع ، بلا ، ص٢٢٧-٢٢٨ .

ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣م ، ص٢٠٩ .

١١- ينقل الدكتور علي الوردي ان الشاه إسماعيل أمر بإدخال ((الشهادة الثالثة)) في الآذان أي عبارة ((اشهد أن علياً ولي الله)) – وكانت هذه الشهادة قد أدخلها بعض الغلاة في الآذان منذ القرن الثالث الهجري غير ان الشيعة المتعدلين – على حد قوله – استنكروا ذلك في حينه ولم يقبلوا به . أما إسماعيل فقد فرض الشهادة الثالثة فرضاً ولم يكترث بأحد ، ولا تزال هذه الشهادة موضع أخذ ورد عند الشيعة حتى الآن .

د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الاول ، ص٦٢،

١٢- د. علي الوردي ، المصدر نفسه ، ص٦٠ .

١٣- المصدر نفسه ، ص٦٠.

١٤- باريك البايندري هو آخر ولاة امبراطورية الاق قوينلو في بغداد، بعد إن قضت كتائب القزلباش بقيادة الشاه اسماعيل الصفوي على آخر سلاطين حكومة الآق قوينلو مراد بن يعقوب بن حسن الطويل وهو ابن خال اسماعيل الصفوي، فبعد ان سحقه الشاه اسماعيل في الاراضي الإيرانية فرَّ هاربا الى همدان و من ثم الى شيراز و منها الى بغداد حيث بقي فيها خمس سنوات و نصف حتى عام ١٥٠٨ م بعد إن اذهلته انتصارات الشاه اسماعيل فرَّ هاربا الى دلغارد وقد تزوج من ابنة حاكم ذي القدر فيها علاء الدولة، و عقد معه حلفا ضد عدوهم المشترك الشاه اسماعيل الصفوي و في ديار بكر التي استولوا على بعض من قلاعها هاجمهم اسماعيل و دارت معركة طاحنة بين الطرفين تواصلت ثلاثة ايام، انتهت بتمزيق اخر تجمع كبير لجيوش امبراطورية الاق قوينلو و بعد تلك المعركة التاريخية زالت امبراطورية الاق قوينلو من الوجود، ولم تبقى الا حكومة بغداد التي كانت تحت سلطة الوالي باريك البايندري. ينظر:

عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ،الجزء الثالث ، بلا ، ص٣١٢

١٥- عبد الأمير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الجزء الاول ، ص٢٤٣.

١٦- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣٩٩.

١٧- ينتمي السيد محمد كمونة الى أُسرة علوية عريقة من سلاله الحسين بن علي ابن ابي طالب (عليهم السلام) يقال لهم بني كمكمة ، وهو أَولاد ابي الفوارس طراد بن شكر الاسود ابن

جعفر النفيس بن ابي الفتح محمد نقيب الكوفة ،وفي زمن نقابة الشريف المرتضى المتوفى سنة ١٠٤٤ م (٤٣٦هـ) كانت لهم النيابة في بغداد، وبعد ذلك انتقلت النقابة لهم .

عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص٢٤٤.

١٨- عبد الامير الرفيعي ، المصدر نفسه ، ص٢٤٢ .

١٩- المصدر نفسه ، ٢٤٣.

٢٠- الصدر نفسه ، ص٢٤٤.

٢١- المصدر نفسه ،ص٢٤٤.

٢٢- المصدر نفسه ، ص٢٤٤.

٢٣- المصدر نفسه ، ص٢٤٤.

٢٤- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣١٦.

٢٥- نقلاً عن : عباس العزاوي ، المصدر نفسه ، ص٣١٦.

٢٦- المصدر نفسه ، ص٣١٦ .

٢٧- د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الاول ، ص٤٦.

٢٨- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣١٦.

٢٩- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٤٦.

٣٠- المصدر نفسه ، ص٤٦.

٣١- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣١٦.

٣٢- عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

٣٣- المصدر نفسه ، ص٢٤٥.

٣٤- المصدر نفسه ، ص٢٤٥.

٣٥- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٤٦.

٣٦- عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص٢٤٥.

٣٧- المصدر نفسه ، ٢٤٥.

٣٨- المصدر نفسه ، ص٢٤٥.

٣٩- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ٤٦.

٤٠- عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الجزء الثاني ، ص٥٦.

٤١- المصدر نفسه ، ص٥٦.

٤٢- نقلاً عن : عبد الأمير الرفيعي ، المصدر نفسه ، ص٥٦.
٤٣-د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٤٧.
٤٤- ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ، ١٩٦٠ . ص٤٠ .
٤٥- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٤٧.
٤٦- محمد العريس ، موسوعة التاريخ الاسلامي – العصر العثماني ، الطبعة الاولى ، منشورات دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥م ، ص١٥ .
٤٧- المصدر نفسه ، ص١٦.
٤٨- المصدر نفسه ، ص٢٨.
٤٩- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٤٧.
٥٠- د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٢١.
٥١- د. علي الوردي ، المصدرالسابق ، ص٤٧.
٥٢- المصدر نفسه ، ص٤٧.

يقول الدكتور علي شريعتي في هذا الصدد إن الملالي ورجال الدين في الدولة العثمانية أعدوا مسرحية خبيثة هدفها إثارة العامة من اهل السنة والجماعة وتحريضها ضد اتباع الشيعة في ارجاء الدولة العثمانية وسائر البلدان الاسلامية ، فقد كان الملا العثماني يدخل يده في قارورة مليئة بسائل صمغي ثم يخرج منها ويدخلها في قارورة أخرى مليئة بالشوفان وبعد ذلك يخرج يده من القارورة وقد التصق بيده الآف الشوفان وحينئذ يبدأ رجل الدين بطرح هذا السؤال الآتي : ما عدد الشوفان الملتصق بمرفقي وذراعي ؟ فيعجز المستمعون والناظرون عن احصائه ، عندئذ يعلن الملا بأن مسرحيته تكللت بالنجاح التام ويبدأ بمخاطبة المتفرجين بصوت جهوري أيها المسلمون من قتل رافضياً من الشيعة أعداء الله وناموس بنيه وصحابته ومنكري القرآن والوحي يكتب له في الآخرة بعدد هذه الشوفانات الملتصقة على ذراعي حسنة وأجراً كبيراً .

وبدأ الصراع العنيف بين أهل السنة والشيعة حيث أمر الشاه إسماعيل بذبح اهل السنة ذبح النعاج أينما وجدوا في إيران ويقابله ياوز سليم بقتل الشيعة في جميع انحاء الدولة العثمانية ويروى في هذا الصدد أنه أمر في الأشهر الاولى بقتل جميع الشيعة أينما وجدوا في داخل بلاده ، ينظر :-

ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص٨٣.

٥٣- لأجل تنفيذ خطته بالقضاء على الشيعة وتصفيتهم في الدولة العثمانية بدأ السلطان سليم بوضع خطة محكمة للقضاء عليهم وذلك بتنظيم نمط من الشرطة السرية وأرسل أفرادها في شتى أرجاء البلاد العثمانية – الاسيوية الأوربية – بغية احصاء عدد الشيعة فيها . وقد تبين له أن عددهم يناهز السبعين ألفاً بين رجل وامرأة وطفل ، وبعد أن تأكد السلطان من عددهم ومبلغ تركزهم في الأماكن المختلفة أرسل جنوداً الى تلك الأماكن بنسبة عددهم ، ثم أوعز الى أولئك الجنود أن يلقي كل واحد مهنم القبض على من بقربه من الشيعة في وقت معين . وتم عندئذ قتل أربعين ألف من الشيعة بينما أودع الباقون في السجن المؤبد .

ومن الجدير بالذكر إن المؤرخين يشبهون هذه المذبحة بتلك التي قام بها الكاثوليك في فرنسا للانتقام من البروتستانت وهي المذبحة المعروفة باسم ((سان برثلميو) . وقد وقعت هذه المذبحة بعد مذبحة الشيعة بستين سنة تقريباً .

ينظر:-

Creasy Edwards , History of the Ottoman turks , Beirut , 1961 , PP.131-132

وكذلك :-

د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٤٧- ٤٨.

٥٤- د. علي الوردي ، المصدر نفسه ، ص٤٩.

٥٥- د. حسن كريم الجاف ، الوجيز في تاريخ ايران ، ص٢٣.

٥٦- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٥٢-٥٣.

٥٧- المصدر نفسه ، ص٥٥.

٥٨- المصدر نفسه ، ص٥٥.

٥٩- ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص٢١.

٦٠- عبد الامير الرفيعي ،المصدر السابق ، ص٨٤.

٦١- المصدر نفسه ، ص٨٥.

٦٢- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٥٥.

٦٣- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، العهد العثماني الاول (٩٤١هـ - ١٥٣٤م /١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م) ، الجزء الرابع ، بلا ، ص٢١.

٦٤- عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

٦٥- المصدر نفسه ، ص٨٦ .

٦٦- المصدر نفسه ، ص٨٦.

٦٧- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٥٥.

٦٨- المصدر نفسه ، ص٥٦.

٦٩- المصدر نفسه ، ص٥٦.

٧٠- في الواقع ان هذا الرجل (أي سليمان القانوني) يختلف عن أبيه سليم الاول ، حيث كان أقرب منه الى العدل والعمران .

د.علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، ص١٢٩.

٧١- تصف بعض المصادر السلطان سليمان ، بعد أن احتل عاصمة العباسيين القديمة ، بأنه الخليفة الشرعي للخلفاء ، فهو المناصر في كل مكان للمذهب السني ، وشهرته ما أنفكت تزداد في العالم الاسلامي ، ولما دخل بغداد التي أفتكها من أَهل البدع ، كان أول عمل قام به ، هو ترميم قبر أبي حنيفة ، مؤسس المذهب السني الذي يعتنقه الأتراك ، وكان الصفويون قد هدموا القبر ، وقيل بأنهم احرقوا الولي الصالح ولكنهم وجدوها كأنها لم تمسسها نار ببركة منه . فإذن سليمان ببناء مسجد ومدرسة قرب الضريح . ورمم ايضاً قبر العالم الكبير الحنبلي الجيلاني واسرع في اشغال بناء مسجد الكاظمية . وزار سليمان الأماكن الشيعية المقدسة وبذلك وضع تحت حمايته الاسلام بأكمله سنة وشيعة ، لافرق بينهما وأكد شمولية آل عثمان في إسلامهم.

نقلاً عن :-

أندري كلو، سليمان القانون – التمازج بين الهوية والحداثة ، تعريب البشير بن سلامة ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الجبل ،بيروت ، ١٩٩١، ص١٥٧.

٧٢ – عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص٨٦.

٧٣- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣٤.

٧٤- عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص٨٧.

٧٥-المصدر نفسه ، ص٨٧.

٧٦-المصدر نفسه ، ص٨٧.

٧٧- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣٦.

٧٨- عرف هذا النهر في التاريخ باسماء متعددة منها " العلقمي " نسبة الى أحد زعماء بني أسد الذي حفر ذلك النهر في أواخر العهد العباسي وهو جد وزير الخليفة المستعصم مؤيد الدين محمد ابن أحمد العلقمي الأسدي . و"الغازاني" نسبة الى السلطان المغولي محمد غازان .

ويبدو أن أعمال حفر المجرى وتطهيره جرت في العهد الصفوي أيام الشاه إسماعيل والشاه طهماسب . ولكن مشروع السلطان سليمان الأول كان أوسع وأتى بنتائج أفضل – ولذا سمى النهر بعد أن جرت المياه فيه بـ" السليماني " . اما في الوقت الحاضر فإن نهر كربلاء يعرف باسم " الحسينية " .

عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الجزء الثاني ، ص٨٨.

٧٩- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣٦-٣٧.

٨٠- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٥٦.

٨١- المصدر نفسه ، ص٥٧ .

٨٢-عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص٨٦.

٨٣- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٥٧.

٨٤- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣١.

٨٥- المصدر نفسه ، ص٣١.

٨٦- المصدر نفسه ، ص٣١.

٧٨- المصدرنفسه ، ص٣١.

٨٨- يرى فريق آخر من المؤرخين ان ما شيده السلطان سليمان لم يدم طويلاً وزال من الوجود . وان المؤسس الحقيقي لقصبة الأعظمية هو السلطان مراد الرابع .

عبد الامير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص٨٧.

٨٩-عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣٠-٣١

٩٠- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٥٨

٩١- الشيخ عبد القادر الكيلاني كان ورد العراق شاباً ، وأخذ العلم من مشاهير علماء بغداد ، ومن أشهرهم المخرمي صاحب مدرسة باب الأزج وكان أكثر اتصالاً به ، واشتهر بالوعظ كما عرف بالزهد والتقوى ، فصار من العلماء المعروفين ، والوعاظ المقبولين ، خلف استاذه في التدريس بمدرسته فمالت أليه القلوب ، ولهج به الناس ، وحصل على الثقة من كافة الطبقات، ويعد سلوكه المرضى، وزهده وصلاحه (طريقة) ، عرفت أخيراً بـ(الطريقة القادرية) ونهجها أتباع الكتاب الكريم والحديث الشريف . وهكذا مال القوم من قديم الزمان الى أهل الصلاح والتقوى ، بحيث صار الناس يقتدون بهم في زهدهم وصلاحهم ، بل روعيت كافة أعمالهم الدينية ، وتعبداتهم ، فأتخذت نهجاً لما نالوه من منزلة مقبولة في النفوس ، فصار ذلك منشأ

الطرائق .. ومنها هذه . عاصر حضرة الشيخ عبد القادر جماعة من الزهاد الأكابر ... ثم دخل كثيرون من أرباب الزيغ من غلاة التصوف هذه الطريقة ، فأفسدوا الكثير منها ولم يعهد أن ذم أحد الزهد والصلاح والتقوى الا أن (الأفلاطونية الحديثة) لا من رجال العبادة والتقوى . والبر المعروف ، والفاجر كذلك . ولم ينجح الغلاة في التدخل بهذه الطريقة . نالت هذه الطريقة رغبة لما عرفت بالصلاح والزهد ، ولم يدخلها الغلو المعروف عن الكثيرين من المتصوفة ...)).

عباس العزاوي ، المصدر السابق ص ١٢٠.

٩٢- عباس العزاوي ، المصدر نفسه ، ص٣٣

٩٣- المصدر نفسه ، ص٣٣

٩٤- المصدر نفسه ، ص١٢٠.

٩٥- د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٣٥.

٩٦-المصدر نفسه ، ص٣٦.

٩٧- المصدر نفسه ، ص٣٦.

٩٨- بدت هذه العلاقات على أحسنها عندما فر بايزيد بن السلطان سليمان القانوني الى البلاط الصفوي مع عدة كتائب عسكرية سنة ١٥٥٩م ومع أَن طهماسب استقبله في بادئ الأمر بحفاوة بالغة ، إلا أنه سرعان ما أدرك ان بايزيد لن يفيده بشيء وان المصلحة السياسية لبلاده تقتضي تسليم بايزيد الى والده سليمان القانوني . لذلك قرر طهماسب تسليم ضيفه الى أبيه سنة ١٥٦١م مقابل مبلغ كبير من الذهب يقدر بـ ٤٠٠ ألف قطعة ذهبية وتمت الصفقة ودخل الذهب خزينة الشاه ولقي بايزيد البائس الذي كان مسجوناً عند طهماسب حتفه وأرسل أخوه سليم رأسه كهدية ثمينة الى والده بأمر من والده السلطان القاسي غليظ القلب سليمان القانوني وبعد مقتله آل مصير أبنائه الأربعة أورخان وعثمان وعبد الله ومحمود الى الموت مثل مصير والدهم بايزيد ، ينظر:-

عبد العزيز سلمان نوار ، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، الجزء الاول ، بيروت ، ١٩٧٠، ص٥٠-٥١.

٩٩- يذكر قاضي أحمد غفاري بأن الشخصين من حاشية بايزيد وهما "قرأ اوغلو" و"محمود جركس" أخبرا الشاه طهماسب بأن بايزيد يمهد لمؤامرة بهدف قتله وعندما علم بايزيد بانكشاف مؤامرته أمر قتل الواشين وهكذا ظهر الخلاف بين طهماسب وبايزيد الى العلن ، ينظر :-

حسن روملو ، احسن التواريخ ، تهران ، ٧٣٤٧، ص٤١٢.

ويذكر الشاه طهماسب في مذكراته بأن أَحد معتمديه المدسوسين في حاشية بايزيد يدعى "محمد عرب" أخبره بمآرب بايزيد حيث أحضر حلوى ممزوج بالسم من بلاده بهدف تسميم طهماسب وحاشيته معاً وعندما علم بايزيد بانكشاف مؤامراته قتل محمد عرب وبذلك أيقنتُ بأن بايزيد يبيت الشر والغدر . ينظر :-

طهماسب ، تذكرة شاه طهماسب ، برلن ، ١٣٤٣، ص٦٦-٦٧.

١٠٠- يذكر مصطفى عالي بأن أحد مستشاري بايزيد يدعى قودوز فرهاد أشار عليه ان يهجم بقواته على الشاه طهماسب عندما يأتي الى استقباله ويقتل الشاه ويستولي على عرش العجم ويرضي والده السلطان بذلك .

د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٧٥.

١٠١-عبد العزيز سلمان نوار ، المصدر السابق ، ص٥٢-٥٣.

١٠٢- المصدر نفسه ، ص٥٣.

١٠٣- المصدر نفسه ، ص٥٣.

١٠٤- أبو القاسم طاهري ، تاريخ سياسي واجتماعي ايران ، تهران ، ١٣٤٩، ص٢٠٠.

١٠٥- الاوزبك تعني الكلمة بالتركية سيد نفسه والمستقبل ويعود نسب الاوزبك الى اوزبك خان تاسع الحكام من أسرة جوجي الذي أعلن اسلامه هو وقومه المؤلفين من المغول والترك وموطنهم القديم مرتفعات توران على بحر الخزر ، للمزيد من المعلومات . ينظر :-

و. بارتلد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، منشورات مكتبة الانجلو المصرية ، بلا.

١٠٦- تروى نادرة طريفة بمناسبة تسنم الشاه عباس الكبير العرش الصفوي تدل على العقلية السائدة في ذلك الحين خلاصتها أن المنجمين نصحوا الشاه بأنه يجب ان يتخلى عن العرش لمدة قصيرة لأن النجوم تشير الى أن خطراً شديداً سيحيق بصاحب العرش خلال تلك المدة ، فاستجاب الشاه لنصحهم وتنازل عن العرش مؤقتاً حيث نصب مكانه رجلاً غير مسلم اسمه يوسف ، ويبدو انه كان نصرانياً ، وقد بقي هذا المسكين على العرش ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع اوعز الشاه بقتله واستعاد العرش منه . وعند هذا قال المنجمون للشاه إنه سيحضى بمجد عظيم .

د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٦٨.

١٠٧- د. علي الوردي ، المصدر نفسه ، ص٦٩.

١٠٨- د. بديع محمد جمعة ، الشاه عباس الكبير٩٩٦-١٠٣٨هـ / ١٥٨٨-١٦٢٩م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت،١٩٨٠، ص١٦٦.

109-David Morgan , Medievel Persia , 1640 – 1797 , London , 1945 , p. 143.

١١٠- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٦٩.

١١١- فقد ثار على حكمه عام ١٥٩٨م أمير لورستان شاه ويردي خان ، ومن جملة من خرج على حكمه كذلك الأمير رستم ميرزا أحد أقربائه سنة ١٥٩٨م في خراسان وحاول جاهداً الاستيلاء على سيستان وتمرد عليه أحد رؤوساء افخاذ عشائر القزلباش المعروفة بـ ذو القدرخان في منطقة شيراز وعشائر الافشار في كرمان وحدثت اضطرابات وقلاقل في اصفهان ، وكيلان وطالش ومازندران وتمكن شاه عباس من قمع هذه الحركات والتمردات والثورات بعنف شديد ولكي نعطي صورة لعنفه وشدته في معاملة الثوار لذكر هذه الحوادث ، فقد أبادت قواته معظم افراد عشائر الجيل في كيلان واكراد مكري وكثيراً من عشائر تكلوا أحد الفروع الرئيسة لقبائل القزلباش . وبعد القضاء على الاضطرابات والفتن والثورات توحدت الجبهة الداخلية في ايران وساد الاستقرار في ربوعها وبدأ عصر جديد في ايران هو الذي يعده الايرانيون العصر الذهبي في تاريخهم الحديث . لمزيد من التفاصيل ، يراجع :-

Hafez.F.Farmayan The beginning of Modernizution in Iran , Utah ,1969 , pp: 17-18

مرتضى راوندي ، تاريخ اجتماعي ايران ، جلد روم ، تهران ، ٢٥٣٦ شاهنشاهي ، ص٣٩٧.

١١٢- د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٤٤.

١١٣- دكتر عبد الله رازي ، تاريخ كامل ايران از تأسيس سلسلة مادتا انقراض قاجارية ، تهران ، ١٣٧٨، ص٤٢١.

١١٤- د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٤٤.

١١٥- المصدر نفسه ، ص٤٤.

١١٦- د. محمد بديع جمعة ، المصدر السابق ، ص٩٥-٩٦.

١١٧- المصدر نفسه ، ص٩٦.

١١٨- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٧٠.

١١٩- د. محمد بديع جمعة ، المصدر السابق ، ص٩٦.

١٢٠- يروى أَن الشيخ ((البهائي)) كان حاضراً فأنشد أبياتاً من الشعر قال فيها ما معناه :- إن الملائكة نزلوا من السماء وأخذوا يتهافتون حول الشموع فيا أيها الرجل الذي يقص بمقصه فتائل الشموع إحذر أَن تقص جناح جبرائيل . نقلاً عن :-

د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٧٠.

١٢١- د. محمد بديع جمعة ، المصدر السابق ، ص٩٧.

١٢٢- المصدر نفسه ، ص١٩٦.

١٢٣- المصدر نفسه ، ص١٩٧.

١٢٤- الصوباشي : لقب حربي قديم شاع هذا اللقب في الاناظول منذ القرن الرابع عشر الميلادي وقد أصبح لقب الصوباشي أشهر الالقاب المستعملة في سلك الشرطة في الدولة العثمانية التي اقتبسته من السلاجقة الحاكمين في آسيا الصغرى وبكر صوباشي هذا هو قائد الشرطة في بغداد وعظم نفوذه منذ عام ١٦١٩م بعد ضربه بعض القبائل العراقية الثائرة ضد السلطة العثمانية في العراق . ينظر :-

علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٠ – ١٧٥٠ ، الموصل ، ١٩٨٥، ص٨.

١٢٥- د. محمد بديع جمعة ، المصدر السابق ، ص١٩٧.

١٢٦- العزاب من الكلمة العربية الاعزب والعزاب أي الاشخاص غير المتزوجين Mucara وهم فرقة من مشاة قوات لحدود وكانت علامتهم ارتداء طاقية حمراء ، وقوات العزاب هذه بمثابة قوات فدائية يتقدمون الانكشارية في اثناء الهجوم على العدو . ينظر :-

شمس الدين سامي ، قاموس الاعلام ، استانبول ، ١٣١٧، ص٩٣٥.

127- Perter Avery , Modern Irani , London , 1967 , p . 17 .

١٢٨- مما يجدر ذكره في هذا الصدد أَن الزّوار الإيرانيين الذين كانوا يذهبون لزيارة العتبات المقدسة في العهد العثماني كانوا يعانون الشيء الكثير من الأذى ، على أيدي الأطفال في أزقة بغداد ، وعلى أيدي الموظفين في المخافر ، وكانوا كثيراً ما يتقدمون عند عودتهم بالشكوى الى الشاه الكبير مما نابهم من الاذى في العراق .

د. علي الوردي ، المصدر نفسه ، ص٧١.

١٢٩- د. بديع محمد جمعة ، المصدر السابق ، ص١٩٨.

١٣٠- المصدر نفسه ، ص١٩٨.

١٣١- تختلف المصادر في تحديد السنة الهجرية التي استطاع فيها الشاه عباس الصفوي من احتلال بغداد ، فهناك مصادر تذكر إنه تم في اليوم التاسع من شوال لسنة ١٠٣٣هـ . ينظر : علي ظريف الاعظمي ، تاريخ الدولة الفارسية في العراق ، بغداد ، ١٩٢٧، ص١٠٨.

١٣٢- د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٤٧.

١٣٣- د. بديع محمد جمعة ، المصدر السابق ، ص١٩٩.

١٣٤- المصدر نفسه ، ص١٩٩.

١٣٥- المصدر نفسه ، ص٩٧.

١٣٦- عبد الامير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الجزء الثاني ، ص١٦٣.

١٣٧-المصدر نفسه ، ص١٦٣.

١٣٨- المصدر نفسه ، ص١٦٣.

١٣٩- نهر الشاه :- حفره عطا ملك الجويني في عهد المغول وجدد حفره الشاه إسماعيل الصفوي ، سبق وإن تناولناه بشكل شبة مفصل عند حديثنا عن اهتمامات الشاه إسماعيل في العراق .

١٤٠- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٣٩-٤٠.

١٤١- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٦٤.

١٤٢- المصدر نفسه ، ص١٦٤.

١٤٣- المصدر نفسه ، ص١٦٤ .

١٤٤- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٧٢.

١٤٥- المصدر نفسه ، ص٧٢-٧٣.

١٤٦- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٦٤.

١٤٧- المصدر نفسه ، ص١٦٤.

١٤٨- المصدر نفسه ، ص١٦٤.

١٤٩- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الرابع ، ص٣٥.

١٥٠- د. بديع محمد جمعة ، المصدر السابق ، ص٩٧.

١٥١- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٧٠ .

١٥٢- يرى بعض الباحثين إن تحويل مسار الزيارة من العتبات المقدسة العراقية الى مشهد المقدسة يبقي على كميات كبيرة وثمينة من النقد الذهبي والفضي في داخل البلاد فضلاً عن ان ذلك سيجلب اعداداً كبيرة من الحجاج الشيعة الى مشهد بدلاً من الذهاب الى مكة وهذا كله بالتالي يؤدي الى حرمان العراق العثماني من الدخل الكبير الذي يحصل عليه من وراء قوافل وحجاج الفرس التي كانت تتوافد على العراق ، حول هذا الموضع ، ينظر :-

ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

وكذلك : د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٧٠-٧١.

١٥٣- لتحقيق هذا الهدف وترسيخه في الأذهان أكثر فأكثر أجبر الشعراء والمداحين بوصفهم شريحة مهمة من الدعاية المنظمة على امتداد أئمة الشيعة وأعلامها وتصوير معجزاتهم ومعصوميتهم باعتبارهم كانوا امتداداً للسر الالهي ، ويروى أنه هدد الشاعر المعروف محتشم الكاشاني بقتله لمدحه إياه بدلاً من ائمة الشيعة قائلاً له : ما أَنا إلا كلب من كلاب حراب أبواب ضريح علي وآل بيته (عليهم السلام) ، فهم أجدر بالثناء والمديح لأنني لا شيء بالنسبة لهم .

صادق نشأت ومصطفى حجازي ، صفحات عن ايران ، بيروت ، ١٩٦٠، ص٧٩-٨٠.

١٥٤- د. بديع محمد جمعة ، المصدر السابق ، ص٩٧.

١٥٥- دونالد ولبر ، إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة د. عبد النعيم محمد حسنين ، الطبعة الثانية ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٩٠.

١٥٦- لم ير تاريخ إيران مثالاً لحكمه الدموي طوال تاريخه الطويل ويرجع المؤرخون سبب ظلمه وتعنته الى تربيته الناقصة في الحرم الشاهي فقد شبَّ حاقداً ناقماً على الجميع وبعكس الشاهات الذين قبل الشاه عباس الذين كانوا يسلمون ابنائهم الى أمراء ورؤوساء القبائل الرحل لتربيتهم لينشؤوا نشأة الرجولة والاقدام ، فقد أمر الشاه عباس الكبير بعد قتله أبنه الكفوء صفي ميرزا بتربية أبنائه واحفاده في الحرم الشاهي ليشبوا على حياة اللهو والعبث والخنوع ولذلك كانت لحياة الحريم المليئة بالدسائس والمؤامرات تأثيرها الواضح في حياة صفي وسلوكه فقد نشأ ميالاً الى العبث ظالماً لا حدود لظلمه فبعد أن وضع مقاليد الحكم في يده وضع السيف في رقاب أفراد أسرته أمراء كانوا أم أميرات وقتل الغالبية العظمى من مستشاري جده ورجاله المخلصين .

د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٥٢.

١٥٧-عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٣٥.

١٥٨- المصدر نفسه ، ص٣٥.

١٥٩- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٨٢.

١٦٠- المصدر نفسه ، ص٨٢-٨٣.

١٦١- المصدر نفسه ، ص٨٣ .

١٦٢- المصدر نفسه ، ص٨٣ .

١٦٣- المصدر نفسه ، ص٨٣ .

١٦٤- المصدر نفسه ، ص٨٣ .

١٦٥- بريڤان : هي اليوم عاصمة جمهورية أرمينيا التي كانت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق .

١٦٦- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٧٩.

١٦٧- المصدر نفسه ، ص١٧٩.

١٦٨- الجاليش ، كلمة تركية تعني نهاية ذيل الحصان وهي خصلة من الشعر كانت تعلق في أعلى رئيس القبيلة وكان ذلك من تقاليد الفروسية القديمة عند قبائل الترك إذ كان الرئيس يضع في أعلى رايته تلك الخصلة من الشعر رمزاً لقيادته للفرسان وسلطته العليا في القبيلة . وقد تطورت تلك التقاليد في الدولة العثمانية فأصبح عدد الجواليش التي تعلق في أعلى راية القيادة تشير الى رتبة القائد . فحينما يخرج للحرب قائد برتبة وزير يعقد له لواء بثلاثة جواليش . وحينما استحدث منصب الصدر الأعظم أصبح يعقد له في الحرب لواء بخمسة جواليش . اما السلطان فكان يرفع الطوغ الهمايوني بسبعة جواليش .

١٦٩- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٨٠.

١٧٠- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص١٠٩-٢١٠.

١٧١- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٨١.

١٧٢- المصدر نفسه ، ص١٨١.

١٧٣- المصدر نفسه ، ص١٨١.

١٧٤- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٨٤.

١٧٥- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٢٢٠.

١٧٦- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٨٤.

١٧٧- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٨٣.

١٧٨- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٨٣.

١٧٩- المصدر نفسه ، ص١٨٣ .

١٨٠- المصدر نفسه ، ص١٨٣.

١٨١- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٢٣٤.

١٨٢- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٨٣.

١٨٣- ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص٩٨.

١٨٤- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٢٢٩.

١٨٥- د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٥٣.

١٨٦- المصدر نفسه ، ص٥٣.

١٨٧- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٨٥.

١٨٨- المصدر نفسه ، ص١٨٥.

١٨٩- ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص٩٨.

١٩٠- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٨٦.

١٩١- عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص٢٣٠-٢٣٢.

١٩٢- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٨٧.

١٩٣- المصدر نفسه ، ص١٨٧.

١٩٤- المصدر نفسه ، ص١٨٨.

١٩٥- د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٥٤.

١٩٦- كان السلطان مراد الرابع عند مغادرته بغداد قد ترك فيها أحد مدافعه الثقيلة ليوضع عند باب ((القبلة)) ، وقد صار هذا المدفع في نظر العامة من أَهل بغداد شبة قديس تنسب إليه الكرامات وتنسج حوله الاساطير ، وأطلق أَهلُ بغداد على المدفع اسم ((طوب ابو خزامة)) ويعزى سبب هذه التسمية الى وجود خرق صغير في فوهة المدفع كأن منخر له ، وتقول الأساطير الشعبية في تعليل الخرق إن المدفع كان في السماء عند حصار بغداد وان الله أمر جبرائيل أن ينزل به الى الارض لمساعدة السلطان مراد على فتح بغداد فنزل به جبرئيل يقوده من منخره . وهناك أساطير أخرى يتناقلها أهل بغداد حول هذا المدفع ، منها أن الاسماء التسع المنقوشة على جانبيه كانت قد لصقت به عند اجتيازه ((بحر القدرة)) أثناء نزوله من السماء ، ومنها أن المدفع عند اسقراره في الأرض اخذ يلتقف التراب ويحوله بقدرة الله الى قنابل يقذف بها العدو وغير ذلك الكثير الكثير من الأساطير التي أنسجت حول هذا المدفع . لمزيد من التفاصيل حول ذلك ، يراجع :-

د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٨٧-٨٩.

١٩٧- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٨٨.

١٩٨- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، العهد العثماني الثاني (١٠٤٩هـ-١٦٣٩م : ١١٦٣هـ - ١٧٥٠م) ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ، شركة التجارة للطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٥٣، ص٢٣.

١٩٩- ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص١٠٧.

٢٠٠- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الرابع ، ص٢٤١.

٢٠١- عبد الأمير الرفيعي ، المصدر السابق ، ص١٩٠.

٢٠٢- المصدر نفسه ، ص١٩٠.

٢٠٣- المصدر نفسه ، ص١٩٠.

٢٠٤- المصدر نفسه ، ص١٩٠.

٢٠٥- المصدر نفسه ، ص١٩٠.

٢٠٦- لمزيد من التفاصيل ، ينظر :-

علي شاكر علي ، المصدر السابق ، ص٦٩-٧٠.

لقد تضاربت المصادر في تحديد عدد قتلى الإيرانيين "فياسين العمري" يحدد العدد بنحو عشرين ألف أما جبرائيل أصغر حنوش فيوصل العدد الى خمسين ألف ومثله المجتبي وتبالغ المصادر العثمانية كثيراً في تقدير عدد القتلى فكاتب جلبي يجعل العدد ثلاثين ألف ومثله عبد العزيز قره جلبي أما منجم باشي فقدره بـ تسعة وعشرين ألف من مجموع ثلاثين الف .

نقلاً عن : د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٨٣.

٢٠٧- د . علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٩٠-٩١.

٢٠٨- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الخامس ، ص١١٠.

٢٠٩- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٩١.

٢١٠- المصدر نفسه ، ص٩١.

٢١١- المصدر نفسه ، ص٩٢.

٢١٢- د. حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ص٥٦.

٢١٣- المصدر نفسه ، ص٥٦.

٢١٤- المصدر نفسه ، ص٥٦.

٢١٥- د. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٠٣.

المصادر :-

أولاً : **الكتب باللغة العربية** :-

١- ابن خلدون ، المقدمة ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣م.

٢- ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣م.

٣- اندري كلو ، سليمان القانوني – التمازج بين الهوية والحداثة ، تعريب البشير بن سلامة ، الطبعة الأولى ، منشورات دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١.

٤- د. بديع محمد جمعة ، الشاه عباس الكبير ٩٩٦-١٠٣٨هـ / ١٥٨٨- ١٦٢٩م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠.

٥- د. حسن كريم الجاف ، الوجيز في تاريخ إيران ، الجزء الثالث ، منشورات بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٥م .

٦- دونالد ولبر ، إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة د. عبد النعيم محمد حسنين ، الطبعة الثانية ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٥.

٧- ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت، ١٩٦٠.

٨- ستيفن هامسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٦٢.

٩- صادق نشات ومصطفى حجازي ، صفحات عن إيران ، بيروت ، ١٩٦٠.

١٠- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الثالث ، بلا .

١١- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، العهد العثماني الأول (٩٤١هـ - ١٥٣٤م : ١٤٠٨هـ-١٦٣٨م)، الجزء الرابع ، بلا .

١٢- عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، العهد العثماني الثاني (١٠٤٩ هـ : ١٦٣٩م) : ١١٦٣هـ - ١٧٥٠م) الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ، شركة التجارة للطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٥٣ .

١٣- عبد الأمير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، شباط ٢٠٠٩.

١٤- عبد الأمير الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، شركة الميناء للطباعة المحدودة ، بغداد ، ٢٠٠٥م.
١٥- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٨٣.
١٦- عبد العزيز سلمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٧٠.
١٧- علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٠-١٧٥٠، الموصل ، ١٩٨٥.
١٨- علي ظريف الأعظمي ، تاريخ الدولة الفارسية في العراق ، بغداد ، ١٩٢٧.
١٩- د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار الراشد ، بيروت – لبنان ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٢٠- د. علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، دار الحياة للنشر والتوزيع ، بلا.
٢١- محمد العريس ، موسوعة التاريخ الإسلامي – العصر العثماني، الطبعة الأولى ، منشورات دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ،٢٠٠٥م.
٢٢- و. بارتلد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، منشورات مكتبة الانجلو المصرية ، بلا .

ثانياً :**الكتب باللغة الانكليزية** :-

1- Creasy Edwards , History of the Ottoman turks , Beirut , 1961.
2- David Morgan , Medievel Persia , 1640 – 1797 , London , 1945.
3- Hafez .F.Farmayan , The beginning of Moderization in Iran , Utah , 1969.
4- Perter Avery , Modern Irani , London , 1967.

ثالثاً : **الكتب باللغة الفارسية** :-

١- أبو القاسم طاهري ، تاريخ سياسي وإجتماعي ايران ، تهران ، ١٣٤٩.
٢- حسن بيرنيا وعباس اقبال اشتياني ، تاريخ ايران ازاغاتا انقراض قارجارية ، بلا .
٣- حسن روملو ، أحسن التواريخ ، تهران ، ٧٣٤٧.
٤- شمس الدين سامي ، قاموس الأعلام ، استنابول ، ١٣١٧.
٥- طهماسب ، تذكرة شاه طهماسب ، برلن ، ١٣٤٣.
٦- دكتر عبد الله رازي ، تاريخ كامل ايران از تأسيس سلسلة مادتا انقراض قارجارية ، تهران ،١٣٧٨.
٧- مرتضى راوندي ، تاريخ اجتماعي ايران ، جلد روم ، تهران ، ٢٥٣٦ شاهنشاهي .

رابعاً : **البحوث باللغة العربية** :-

د. حسن كريم الجاف ، الانتفاضات الشعبية في أواخر حكم المغول ((الانتفاضة السربدارية)) بحث منشور في مجلة الاستاذ ، تصدر عن كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، العدد الخامس عشر ، الجزء الاول ، ١٩٩٩.